جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية الآداب واللغات
الآداب و اللغة العربية

مذكرة ماستر

أدب و لغة عربية
دراسات لغوية
لسانيات عربية

رقم: ع/38

إعداد الطالبة:
وردة بويعقدن

يوم: 2021/ / /

الخطاب القصصي في قصة يوسف عليه السلام (دراسة تداولية)

لجنة المناقشة:

أسماء زروقي	أ. مح ب	جامعة محمد خيضر بسكرة	رئيسا
نورة بن حمزة	أ. مح أ	جامعة محمد خيضر بسكرة	مشرفا
زينب مزاري	أ. مس أ	جامعة محمد خيضر بسكرة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية : 2020-2021م.

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــــــداء

إلى من سهر الليالي ونسي الغوالي وضل سندي المالي وحمل الهم غير ممواليَ بَدْرَ التَّمام وفتح لي باب الأمان والاطمئنان والحب والحنان

إلى صاحب القلب الكبير والفضل الأكبر روح والدي الغالي: عمار رحمه الله والذي مات بالدنيا ولم يمت بقلوبنا اللهم ترحمه وتسكنه أعلى مراتب جنتك وأجعل قبره روضة من رياض الجنة واجعل عيده في الجنة أجمل.

إلى من أثقلت الجفون شهرا وحملت الفؤاد همًا وجاهدت الأيام صبرًا وشغلت البال فكرا ورفعت الأيادي دعاء وأيقنت بالله أملا إلى أغلى الغوالي والدتي العزيزة الغالية: فاطمة حفظها الله وكما جاء ابرز دعاء للأم صلى اللهم وسلم على سيدنا محمد وعلى أله وصحبه وسلم تسليما كثيرا، اللهم أرزق أمي عَيْشًا قارًا، ورزقًا دَرًا، وعملا بارًا، اللهم ولا تتوفاها إلا وهي راضية عنّا تمام الرضى.

إلى قرة عيني أولادي فادي ونوارة الجنان اللهم احفظهم فإني أخشى عليهم من ضر يمسهم ولا تجعل ابتلائي فيهم وبارك لي فيهم ووفقهم لطاعتك وارزقني برهم وأحفظهم بعينك التي لا تنام.

وإلى كل الإخوة والأخوات اللذين فرحوا بنجاحي إلى كل الصديقات والزملاء.

إلى كل من حرص على لغة القرآن الكريم ودافع عنها.

شكـــــر وعرفـــــان

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "من لم يشكر الناس لم يشكر الله" ، وخير شكر أتوجه به إلى الله عز وجل الذي بفضله سبحانه وتعالى تتم صالحات الأعمال والذي وفقنا وألهمنا من الصبر على المشاق التي واجهتنا في إنجاز هذا العمل، كما نتقدم بجزيل الشكر والخاص إلى الأستاذة المشرفة نورة بن حمزة التي لم تدَّخِرْ أي جُهد من أجل إتمام هذا البحث، ولم تبخل بنصائحها وتوجيهاتها الثمينة، والشكر موصول إلى كل معلم أفادني بعلمه من أولى المراحل التعليمية حتى هذه اللحظة.

ونسأل الله التوفيق والسداد، وأن يرزقنا الصحة والعطاء، فألف شكر وتحية وألف شكر احتراما وإجلالاً.

مقدمة

بسم الله الرحمان الرحيم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين عليه أفضل الصلاة والسلام وصحبه أجمعين.

تعد التداولية مبحثا من مباحث الدراسات اللسانية الحديثة التي تطورت إبان السبعينات من القرن العشرين، وقد ظهرت في الولايات المتحدة الأمريكية، وقد قامت على إنقاض المدرسة السلوكية ويقوم هذا البحث بدراسة كيفية فهم الناس بعضهم بعضا ولطريقة إنتاجهم لفعل تواصلي أو فعل كلامي في إطار موقف كلامي مَلْمُوس ومحدد يتسم من خلاله التعامل مع المعاني التي يتغاضى عنها علم الدلالة، فالتداولية فعل تواصلي مرتبط بالوظيفة المرجعية التي يضع المرسل إليه في مواجهة مع المرسل، ولهذا كان التساؤل كالأتي: ماهو البعد التداولي من خلال أسلوب الخطاب القصصي في سورة يوسف عليه السلام أو كيف تَجَلَّتْ العلاقات الحجاجية والأفعال الكلامية في سورة يوسف عليه السلام، وتعد التداولية درسًا غزيرًا في حَقْل الدراسات اللسانية، فهي كبحث في قمة ازدهارها، لم يتحدد بعد في الحقيقة، كما أنه لا يمتلك حدودًا واضحة تقع كأَكثر الدروس حيوية، إذ أنها تختص بدراسة استعمال اللغة في سياق معين،وتهتم أيضا بالمعنى، وببعض الأشكال اللسانية التي لا يتحدد معناها إلا من خلالها.

ولهذا كان سبب إختيارنا لهذا الموضوع كونه من المواضيع المحدثة والحديثة، التي لقت صدى كبير في البحث اللغوي، ويعد هذا البحث ماولة إبراز ما للقرأن الكريم من أبعاد تداولية حول أسلوب الخطاب والعلاقة بين طرفي المتكلم والمخاطب، ولمعالجة الإشكالية المطروحة اقتضى البحث أن يكون مقسم إلى مدخل وفصل تسبقهما مقدمة وتعقبهما خاتمة، أما المدخل عبارة عن تحديد مفاهيم: الخطاب والقضية والحوار، أما الفصل الأول كان محاولة لاستخراج بعض الحجج والأفعال الكلامية، وقد اعتمدنا على المنهج الوصفي الذي يصف المادة اللغوية ويحللها، وقد إسْتَقَيْنَا المادة المعرفية لهذا البحث من عدة مصادر ومراجع، نذكر منها: الخطاب القرآني، مقاربة توصيفية لجمالية

السرد ألإعجازي لسليمان عشراني، وتغيير الفخر الرّازي والجامع لأحكام القرآن للقرطبي.....وغيرها من المراجع التي ساعدتنا في إنجاز هذا البحث.

وختاما ما أتقدم بالشكر والامتنان إلى كلية الآداب واللغات في جامعة محمد خيضر بسكرة وأخص بالشكر قسم آداب واللغة العربية، كما أتوجه بالشكر الجزيل والخاص إلى الأساتذة المشرفة نورة بن حمزة، التي قدمت لي الملاحظات القيمة والتوجيهات المفيدة فبارك الله فيها وفي عملها، كما أتوجه بالشكر إلى لجنة المناقشة لما تحملوا عناء تقييم هذه المذكرة، والله ولي التوفيق وشكرا.

مدخل: تحديد المفاهيم
(الخطاب، القصة، الحوار)

مدخل : تحديد المفاهيم

1-الخطاب

أ- تعريف الخطاب

- لغة

- اصطلاحا

ب- الخطاب القرآني

2-القصة

أ- تعريف القصة

- لغة

- اصطلاحا

ب- القصة في القرآن الكريم

3-الحوار

أ- تعريف الحور

- لغة

- اصطلاحا

ب- الحوار في القرآن الكريم

ج- مفهوم البنية الحوارية

تعريف الخطاب:

لغة: خطب, الخطب, الشأن أو الأمر, صغر أو عظم, وقيل: هو سبب الأمر. يقال: ما خطبك؟ ما أمرك؟.

وتقول: هذا خطب جليل وخطب يسير, و الخطب: الأمر الذي تقع فيه المخاطبة والشأن و الحال, ومنهم قولهم من رمضان,

فقال: الخطب يسير وفي التنزيل العزيز: قال فما خطبكم أيها المرسلون؟ وجمعه خطوب.[1]

تعريف الخطاب:

اصطلاحا: الخطاب مرادف للكلام أي الإنجاز الفعلي للغة بمعنى اللغة في طور العمل أو اللسان الذي تنجزه ذات معينة كما أنه يتكون من متتالية تشكل مرسلة لها بداية ونهاية.[2]

الخطاب يتكون من وحدة لغوية قوامها سلسلة من الجمل, أي رسالة أو مقول و بهذا المعنى يلحق الخطاب بالمجال اللساني, لأن المعتبر في هذه الحالة هو مجموع قواعد تسلسل و تتابع الجمل المكونة للمقول, و أول من اقترح دراسة هذا التسلسل هو اللغوي الأمريكي.

الخطاب حسب"بنفنيست" هو كل تلفظ يفترض متحدثا و مستمعا, تكون للطرف الأول نية التأثير في الطرف الثاني بشكل من الأشكال.[3]

ومن خلال هذا فإن الخطاب يهدف إلى وصف التعبير اللغوية بشكل صريح بالإضافة إلى أن الخطاب يفكك شفرة النص الخطابي عن طريق التعرف على ما يحتويه النص من تضمينات و افتراضات فكرية.

باتفاق المحدثين على اختلافهم, فقد عرفوا الخطاب:

---

[1]– ابن منظور,ص360

[2]– سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي, المركز الثقافي العربي, ط3, الدار البيضاء,1997,ص21

[3]– مذكرة لامية بوداود. تحليل الخطاب المبني روائي في الجزائر,ص12

من وجهة لسانية: بأنه نص محكوم بوحدة كلية واضحة, بحيث يتألف من صيغ وجمل متراصة منسجمة ومتوالية, تصدر عن المخاطب الذي يود تبليغ الخطاب وإيصاله إلى المخاطب.[1]

يمر الخطاب عبر قنوات متعددة ومختلفة ويخضع لخلفيات يقوم بعضها على الوقائع التي ينصب عليها النظر, بينما يستند بعضها الأخر إلى المعتقدات وإلى معطيات أخرى شخصية واجتماعية كما أن تحقيق الكفاية التدليلية و التبليغية والإقناعية للخطاب يقتضي من المحتاجين الاستعانة بمجموعة من القرائن التي تحيط بعملية التلفظ, بالإضافة إلى عوامل أخرى ثقافية واجتماعية ومعارف مشتركة, وغيرها من المقتضيات التي تساهم من القريب أو البعيد في تحقيق المطلوب.

كل هذا يساهم في تعدد الحقول المعرفية التي اهتمت بهذا المجال, بنفس الكيفية التي تنوعت بها المناهج و الآليات التي اعتمدت عليها لمقاربة الخطاب بغية تدقيق مقوماته وضبط إجراءاته.[2]

يستفاد مما سبق ذكره أن حياتنا اليومية أضحت مزدحمة بمختلف أنماط الخطاب ألإقناعي التي يتم تمريرها عبر قنوات اتصال متعددة ووفق مسالك تدليلية متنوعة, وأساليب إقناعية مختلفة.

[1]– محمد عبد الباسط عبيد. النص و الخطاب, مكتبة الأدب,ط1, القاهرة,2009,ص16

[2]– حسان الباهي. الحوار ومنهجية التفكير النقدي, إفريقيا الشرق, د ط, المغرب, 2004, ص07

عناصر الخطاب:

كي يكون الخطاب مؤثرا ومفيد يجب أن يكون متكامل الأطراف وهو يقوم على عدة ركائز أو عناصر تنظم الخطاب وتقيم ركائزه, وهذه العناصر هي:

-1) المؤلف: أي من يقوم بتوجيه الخطاب وتكون لديه القدرة على التكلم و الإبلاغ في ترتيب الكلام بشكل منتظم مترابط.

-2) المتلقي: أي من سيوجه له الخطاب, ويتميز المتلقي بامتلاك حاسة التوقف و الانتظار أثناء تلقيه الخطاب.

-3) الرسالة: أي مادة الخطاب التي تصاغ بصورة أدبية إبداعية.

-4) وسيلة الاتصال: أي القناة الوصل بين المؤلف و المتلقي عبر الكتاب, أو رسائل الإعلام المقروءة و المسموعة و المكتوبة, أو من خلال الانترنت و الأجهزة الذكية.[1]

مفهوم الخطاب:

يختلف الخطاب ويتعدد ميول الإنسان, فنجد الخطاب الفلسفي و الديني و السياسي والروائي وغيرها كثير, و الإنسان يحمل في ذاته مجموعة من الخطابات, يؤمن بها ويدافع عنها, لأنها تشكل جزءا من شخصيته, وبها يدافع عن آرائه, ويفرض وجوده في المجتمع.

والخطاب الفردي هو الذي يعبر عن فكرة الإنسان وفلسفته في الحياة, وسيتطبع من خلاله التحاور مع غيره, وإقناعه بفكرة معية, مثل الروائي الذي يعبر يختبئ خلف السارد ويمرر ما يشاء من أفكار وخطابات ويوجهها مباشرة إلى المتلقي النص الأدبي.[2]

[1]- كتابة رانيا سنجق: موقع عربي فنون أدبية, 2017.

[2]- زاوي أحمد: بنية اللغة الحوارية في روايات محمد مفلاح, كلية الآداب, اللغات و الفنون, قسم اللغة العربي وآدابها, جامعة وهران الجزائر,2014,ص27.

لقد عرف ابن منظور " الخطاب" بأنه: "مراجعة الكلام, وقد خاطبه بالكلام مخاطبة, وخطابا وهما يتخاطبان", ويبدو أن مفهوم الخطاب عند ابن منظور يقترب كثيرا من مفهوم "الحوار" [1]

أما في المعجم الوسيط فيستفسر الخطاب: بالكلام دون بيان نوعه و الخطاب بمعنى الرسالة.

ويظهر من المعنى اللغوي للخطاب " اقتصار مفهومه على اللغة المنطوقة في حالة المحاورة, ويضاف إلى ذالك اللغة المكتوبة في حالة المراسلة".[2]

ومهما كان نوعه منطوقا أو مكتوبا, فهو يعتبر من فكرة الإنسان أثناء الكلام, وعلاقة الخطاب بالحوار متينة, وهو مصطلح يصعب تصنيفه في حقل أدبي دون آخر فنقول الخطاب الحواري, و الخطاب السردي, و الخطاب السياسي, و الخطاب الفلسفي, وغير ذالك.

ويراد بالخطاب عند بعض العلماء أصول الفقه:ط توجيه الكلام نحو الغير للإفهام". أما اللغويون المحدثون وغيرهم, فأعطوا للخطاب مفاهيم كثيرة كل حسب مدرسته ومرجعيته ومنهجيته في الدراسة و التحليل, وكاد مفهوم الخطاب أن يفقد دلالته الأصلية, وقد التبس مفهومه بمفهوم النص. و الخطاب عند الغربيين:ط كل كلام يتجاوز الجملة الواحدة سواء كان مكتوبا أو مفوضا, غير أن الاستعمال تجاوز ذلك إلى مفهوم أكثر تحديدا يتصل بما لاحظه الفيلسوف "غرايس" عام 1975 من أن للكلام دلالات غير ملفوظة' يدركها المتحدث و السامع دون علامة ".[3]

---

[1]– ابن منظور, لسان العرب, مج1 دار صادر,ط3, بيروت, مادة خطب, ص361.

[2]– جمعان بن عبد الكريم: اشكالات النص, المركز الثقافي العربي, الدار البيضاء, ط1, بيروت,2009,ص33.

[3]– زاوي احمد, بنية الحوارية في رواية محمد مفلاح, كلية الآداب و اللغات و الفنون, قسم اللغة العربية وآدابها ,جامعة وهران الجزائر, 2014, ص28.

ويحددها "هاريس" الخطاب بأنه متوالية من الملفوظات ذات علاقة معينة أما "بنفنيست" فيرى أن الخطاب هو الملفوظ منظور إليه من وجهة آليات وعمليات اشتغاله في التواصل.

ولاشك أن مفهوم الخطاب قد توسع وتشعب مدلوله, إذ أصبح يرتبط في عصرنا الحالي بالجانب السياسي و الثقافي من خلال الديمقراطية , ويتطلب تحديد هذا المفهوم الانطلاق من المدرسة التي يتردد فيها, و المجال الذي تخصص فيه.

ويرتبط تحليل الخطاب في النقد الأنجلوساكسوني, عند أصحاب مدرسة بيرنغام" بنمط معين من تحليل الحوار انطلاقا من التفاعلات بين المعلم والتلميذ, هذا ما يزيد في إظهار العلاقة القائمة بين الخطاب و الحوار.[1]

إن الحوارات التي تقيمها الخطابات هي نتيجة حتمية للاختلاف القائم بين الناس منذ القديم, اختلاف في اللغات وفي الفكر, وحيث تتحاور الخطابات يتنحى الكاتب جانبا, لان الخطاب الذي يقدمه ويعرضه ليس نتاجه الخالص, بل نتاج الفكر البشري القائم على التعدد و الاختلاف.[2]

وهذه سنة كونية لا تتغير منذ أن خلق الله الناس, ولو شاء الله لجعلنا أمة واحدة لها لغة واحدة, لكنه قال في محكم التنزيل: "يا أيها الناس إن خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير".[3]

وفي هذا حكمة لا يعلمها إلا الله تعالى, لأن لكل شعب ولكل قبيلة لغة معينة أم لهجة تختلف عن لهجة الآخرين, وقد تجد الدولة الواحدة تضم مجموعة من اللهجات لمجموعات من الأفراد مستقلة في الوطن الواحد, رغم أن لهم نفس التاريخ و العقيدة و نفس العادات و التقاليد في أغلب الأحيان.

---

[1]– المرجع نفسه, ص29

[2]– زاوي أحمد: بنية اللغة الحوارية في روايات محمد مفلاح ,ص31.

[3]– سورة الحجرات الآية 12.

وخير مثال نضربه في هذا المقال: الأمة العربية التي تضم دولتها لغة واحدة لكنها تتفرع إلى عدة لهجات, وهذا ما يجعل الاختلاف و التعدد أمر وارد في الرواية.[1]

الخطاب القرآني:

هو الخطاب الموجود في القرآن الكريم من العزيز الحكيم, وهو خطاب له مدلولاته وإشاراته التي لا تنتهي, معصوم من التحريف و التبديل كما أنه لا يترجم حرفيا إلا في لغات أخرى و إنما تتم ترجمة معانيه و مدلولاته و شرح آياته و مفرداته, و الخطاب في القران الكريم حسب الحاجة فهو تارة موجه للرسول صلى الله عليه وسلم, أو لأزواجه أو لعامة المسلمين, وخاصتهم او لكفار قريش أو المنافقين وغيرهم, و الخطاب القرآني أفضل الخطابات على الإطلاق من حيث البلاغة و الإعجاز اللغوي و الإبداع في اللفظ و المعنى و التركيب, وورود في القرآن الكريم مرتبط بالعز, و الحكمة, وعظمة الخالق عز وجل, وهو يقسم إلى قسمين هما:

1-**خطاب ألاهي:** هو الخطاب الرباني الذي لا يقع تحت التزامات الخطاب الإنساني, و التطور واتسمت صفة الخلود من مصدره وهو الله عز وجل, ويتميز أيضا بشمولية مواضيعه زمانا ومكانا.[2]

2-**خطاب بشري:** وهو عكس الخطاب الرباني, فهو خطاب يلتزم بقواعد الخطاب البشري, ويقع تحت وطأة الظروف التطورية وغير شامل لجوانب الحياة, و مصدره البشر, فهو يحتمل الخطأ و الصواب في طياته, ويتأثر بخبرات قائله.[3]

3- الخطاب القصصي القرآني:

يشكل الخطاب القرآني من حيث هو رسالة سماوية توجت سلسلة الرسالات التي سبقتها, ظاهرة تواصل مفتوح على شؤون الإنسان, في تجديدها واسترسال تطورها, ذلك التطور

---

[1]- زاوي أحمد: بنية اللغة الحوارية في روايات محمد مفلاح ,ص32

[2]- المرجع السابق.

[3]- المرجع نفسه.

الذي هو أساس الحياة, ومبدأ الوجود, لقد أثبتت رسالة القرآن على معادلة مطردة, في تفاعل بمقتضاها الأصل الثابت, مع الفرع المتغير, في جدلية التطور, فكانت من ثمة أهلية الخطاب القرآني.

لقد ضل الخطاب القرآني يمارس فعالياته التبليغية بمنطق توصيلي يرتكز على عقلانية المعطيات في افتراضها, وفي طرحها فكان له من ثمة في فاعلية المحاورة, وربط الصلة الفكرية و الروحية مع المتلقي, بواسطة تبليغ نافذة أساسية.[1]

لذلك تأسس الخطاب القرآني على دعامة فكرية، سمت بالإنسان يعن نوازع الحس البدائية, التي ضلت الديانات الأسبق تصقلها, وتهذبها في فمخاطبة الكون بالفعل (أقرا) هي إشارة هذا الانطلاق المثقف , الذي يحمل الإنسان بصيغته الإلزامية على أن يحيا وجوده واعيا متأملا متسائلا مؤسسا إدراكه وتحصيله على روح مسؤولية فيها ذلك الجانب الايجابي الفارز للمعطيات والمتمثل لحقائقها عن تعقل وبصيرة, لقد كانت القراءة أبدا مشروعا حواريا يواصل جدلية في سبيل امتلاك القناعات التي ستؤطر الحياة وتوجه صيرورتها على ضوء العقل و الحقيقة لقد خاطبت أدبية القران الجن و الجماد و المغيب ومخاطبتها للإنسان تكريسا منها لمبدأ الحوار الذي شكل ابرز فنيات الخطاب ألقراني.[2]

[1]– سليمان عشراني. الخطاب القرآني , ديوان المطبوعات الجامعية ,ط1, الجزائر 1998,ص181.

[2]– المرجع, نفسه ص182.

2- القصة:

أ- تعريف القصة:

لغة:

ورد جذر " **قص** " و " **قصص** " في معاجم لغوية كثيرة، فالقص فعل القاص إذا قص القصص، [1] والقاف والصاد أصل صحيح يدل على تتبع الشيء، من ذلك قولهم: اقتصصت الأثر إذا تتبعه، ومن ذلك أيضا اشتقاق القصاص الجراح، وذلك أنه يفعل به مثل فعله الأول، فكأنه اقتص أثره.

(قص) القاف والصاد أصل صحيح يدل على تتبع الشيء من ذلك قولهم اقتصصت الأثر إذا تتبعه، ومن ذلك اشتقاق القصاص في الجراح، وذلك أنه يفعل به مثل فعله بالأول فكأنه اقتص أثره.

ومن الباب القصة والقصص كل ذلك يتتبع فيذكر، وأما الصدر فهو القص وهو عندنا قياس الباب لأنه متساوي العظام كأنه كل عظم منها يتبع للآخر.

ومن الباب قصصت الشعر وذلك أنك إذا قصصته فقد سويت بين كل شعرة وأختها، فصارت الواحدة كأنها تابعة للأخرى مساوية لها في طريقها.

وقصاص الشعر نهاية منبتة من قدم وقياسه صحيح والقصة الناصية والقصيصة من الإبل البعير يقص أثر الركاب، وقولهم ضرب فلان فلانا فأقصه أي أدناه من الموت. [2]

إصطلاحا:

أما ما يخص التراث القصصي في أدبنا العربي فهو متصل الحلقات منذ أقدم العصور، وهو متنوع في صيغته وفي محتواه، فهناك قصص " **الأمثال** " التي تصور

---

[1]- ابن منظور، لسان العرب، مادة (القصص)، درا صادر للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1997، ص 5-9.

[2]- أبو الحسين أحمد بن فارس زكريا، مقاييس اللغة، تحقيق وضبط، عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، 1991، ص 11.

جوانب الحياة في العصر الجاهلي وفي صدر الإسلام، مما جمعه " **الميداني** " و" **الزمخشري** " وغيرهما، وهناك الأسمار والأساطير والخرافات التي تتعدد ينابيعها بين عربية وفارسية وهندية، مما احتشدت به كتب الأخباريين. [1]

فلا غرابة أن نجد القصة في القرآن بوصفها واسطة بيانية تبليغية لقاموس سماوي غايته تجذير العقيدة وتوطيد نظام حياة متكامل للإنسانية، وتغيير ما بالنفوس من جهالة وشرك وعبودية نزعت منزعا واقعيا فصدرت في الأغلب عن مرجعيات تاريخية، ارتبطت بسير الأنبياء والرسل في أزمان غابرة وبأخبارهم وصراعاتهم من أجل رسالات الله، فالصدق التاريخي معيار حرص القرآن على إثباته وتأكيده المرة تلو الأخرى. [2]

والقصة القرآنية ليست عملا فنيا قائما بذاته بل هي جزء القرآن ووسيلة من وسائله لنشر الدعوة. [3]

فالقصة القرآنية منتزعة من الواقع الوجودي للناس في أحداثها وأشخاصها وأمكنتها وأزمنتها...لا ينكر الناس منها شيئا، ولا يبعد عليهم منها شيء... فهي وإن تكن قد ذهب أشخاصها وبعد زمانها واندثر مكانها إلا دائما بمشهد من الناس ومحضر، حيث يرون أشباهها في كل زمان ومكان. [4]

---

[1]– محمود تيمور، القصة في الأدب العربي وبحوث أخرى، منشورات المكتبة العصرية، صيدا وبيروت، (د، ط)، (د، ت)، ص 5–7.

[2]– سليمان عشراتي، الخطاب القرآني مقاربة توصيفية لجمالية السرد الاعجازي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د ط)، 1998، ص 67.

[3]– العرابي لخضر، مفهوم القصة القرآنية وأغراضها عند السابقين والمعاصرين، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، (د، ط)، (د، ت)، ص 19.

[4]– عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم ويوسف، ص 142.

ومما ينبغي التأكد من معرفته في هذا المقام هو أن القصص القرآني لكي يكون مؤثرا في النفوس نافعا للقلوب، جاء موافقا للحياة العربية على كثير من جوانبها ولم يخرج عن مألوف حياة الناس التي يحيونها. [1]

ب- القصة في القرآن الكريم:

إن القصة القرآنية بهذا الأسلوب الفني وعت للقصاصين قانونا لضبط ووزن مقاييس البناء الفني في العمل الروائي، [2] فالقصة في القرآن لا تحدد خطاطات جامدة لفن القصة ولكنها توصل تخريجات سردية تتبلور فيها الواحدة في صورة تجعل من القص القرآني فنا مفتوحا على التوزيع يراوح بين القصة الموقف، حيث الحوار يبني الحدث ويجلي الوقائع وبين القصة المشهد حيث يقوم السرد بالرصد والعرض من خلال...الإجمال والتفصيل القصصيين تحقيقا للمغزى القرآني وترسيخا للرسالة في ذهن المتلقي بكيفية تأثيرية تحرك الخيال والعقل معا. [3]

ومما ينبغي التأكد من معرفته في هذا المقام هو أن القصص القرآني لكي يكون مؤثرا في النفوس نافعا للقلوب، جاء موافقا للحياة العربية على كثير من جوانبها ولم يخرج عن مألوف حياة الناس التي يحيونها، [4] فالقصة القرآنية منتزعة من الواقع الوجودي للناس في أحداثها وأشخاصها وأمكنتها وأزمنتها...لا ينكر الناس منها شيء... فهي وإن تكن

[1]- نورة بن حمزة، الحوار القصصي في القرآن الكريم دراسة في التواصل والإبلاغ سورة الكهف أنموذجا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2007، ص 7.

[2]- خالد أحمد أبو جندي، الجانب الفني في القصة القرآنية- منهجها وأسس بنائها- (نظرية بناء القصة الفنية في القرآن الكريم)، ص 132.

[3]- سليمان عشراتي، الخطاب القرآني مقاربة توصيفية لجمالية السرد الاعجازي ، ص 69.

[4]- العرابي لخضر، مفهوم القصة القرآنية وأغراضها عند السابقين والمعاصرين ، ص 23.

ذهب أشخاصها وبعد زمانها واندثر مكانها إلا دائما بمشهد من الناس ومحضر، حيث يرون أشباهها في كل زمان ومكان. [1]

فالناس يتداولون الأنباء ويرون الأخبار ويتناقلونها على تعدد الأشخاص واختلاف الألسنة، ثم لا يكون شيء من ذلك حائلا بينهم وبين أن يفيدوا منها وينتفعوا بها ويخلصوا إلى مضامينها...وغاية ما يمكن أن ينظر إليه في هذه الأحوال وهو الصدق في الرواية والأمانة في النقل والدقة في التصوير والتعبير.[2]

وإذا انتقلنا إلى الحديث عن القصة الأدبية في القديم والحديث فسنجد بعضها يقوم على الخيال الذي لا حقيقة له، وبعضها تقوم على تشويه الحقائق وثالث ينحرف به الكاتب عن القيم المثل والمبادئ، ونظرة إلى كتاب القصة الذين اشتهروا تجد أن الشذوذ والانحلال الخلقي والتهريج كان الطابع لأكثرهم، هذا عن الكتاب العالميين للقصة أما الكتاب العرب فهم بين مترجم ترجمة حرفية أو ناقل للفكرة، ليضعها في أسلوبه وقالب من الكلمات العربية وقليل أولئك الذين ساروا بالقصة مسارها الصحيح نهدا وموضوعا مستوحين ذلك كله من بيئتنا وقيمنا. [3]

إن القصص الأدبي الذي يعالج الحياة الواقعية أو المتوقعة يختلط فيه الخيال بالحقيقة وتكثر فيه الشحطات والرؤى والأحلام، ولا يجد الناس غرابة في هذا فهم إنما يأخذونه على هذا الوجه وينظرون فيه على تلك الصفحة، وليس كذلك ما كان من القرآن من حديث عن الواقع أو المستقبل إنه ليس رجما بالغيب ولا خيالا من الخيالات ولا حلما من الأحلام، ولكنه الصدق المصفى والحق المبين ومن هنا لم يكن لهذه الأخبار التي جاء بها القرآن مدخل إلى القصص، الذي لابد فيه من عناصر الغرابة أو المفارقة أو

[1]– عبد الكريم الخطيب، القص القرآني في منطوقه ومفهومه مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم ويوسف، ص 142.

[2]– المرجع نفسه، ص72–73.

[3]– فضل حسن عباس، القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته، شركة الشهاب للنشر، الجزائر، (د، ط)، (د، ت)، ص 12.

الاستحالة التي تثير الدهشة والاستغراب والتي يلعب فيها الخيال في عقول الناس دورا كبيرا، فصان الله سبحانه أخبار الغيب التي نطق بها القرآن من أن تقع في نفوس الناس هذا الموقع، وأن يتدسس إلى الإحساس بمشاعرهم. [1]

وعموما يمكن القول مهما كان القصص القرآني سماوي المطلع ومبنيا بناءا محكما من لبنات الحقيقة المطلقة، [2] فهو بشري الصورة إنساني المنازع والعواطف يتحدث عن الناس إلى الناس ويأخذ من الحياة للحياة، يقرؤه الناس ويسمعونه فكأنما يقرؤون أطواء أنفسهم ويسمعون همس ضمائرهم ووسوسة خواطرهم، ومن هنا فهم يعيشون فيه ويحيون معه وينتفعون به إنتفاع الأرض صوبها الغيث...فيقع منها مواقع مختلفة بين وديان وسهول وجبال وقيعان وأحراش وسهوب. [3]

ومن المعلوم أن هناك طريقتين للأسلوب القصصي يلتزم كاتب القصة واحدة منها أو يلتزمهما معا لعرض أحداث قصته وانطلاق أشخاصها وتحريكهم، فقد يتحدث كاتب القصة بلسان أشخاص قصته ويروي أخبارهم وهو بذلك يكون قد فرض نفسه على أشخاص قصته وأمسك بزمام الأحداث يحركها كيف شاء ، وقد تختفي شخصية كاتب القصة تماما فلا يبدوا لها أثر في سير الأحداث وتحريك الأشخاص وهو بذلك يكون قد ترك أشخاصه يتحدثون بألسنتهم ويعبرون عن وجودهم.

لاشك أن القصص القرآني التزم الطريقة الأولى طرقة الرواية التي تؤذنك دوما بأنك إنما تسمع أخبار قد ذهب أشخاصها في التاريخ وانتهى دورهم في الحياة، وأنها في هذا

[1]– عبد الكريم الخطيب، القص القرآني في منطوقه ومفهومه مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم ويوسف، ص48.

[2]– العرابي لخضر، مفهوم القصة القرآنية وأغراضها عند السابقين والمعاصرين ، ص24.

[3]– عبد الكريم الخطيب، القص القرآني في منطوقه ومفهومه مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم ويوسف، ص73.

العرض إنما هي في بعث جديد قد جاءت تسعى إليك أو أنك في رحلة زمنية عبر القرون الماضية إليها غائبة حاضرة معا تحدثك بلسانها وتسمعك قولها. [1]

وهذه الطريقة تليق بالقصص القرآني الذي يلتزم الصدق في أخباره ولا يشوبه أي لون من ألوان الخداع والتخيل، [2] فالقصص القرآني هو بعث لآثار مضت وقص لأخبار ذهبت. [3]

ولو تأملنا النص القرآني لألفيناه قد تأسس على نوعين من القصص:

1- القصص دو المرجعية التاريخية وهو المتعلق بأنباء الرسل والأقوام والأمم الغابرة، وما كان من أمرهم في تكذيب رسل الله وما انتهى إليه مصيرهم جراء ذلك. [4]

2- القصص دو المرجعية المثلية وهو نوع أقل تواردا من السابق وقد ساقه القرآن على سبيل التمثيل، وهو أيضا يجانس القصص التاريخي من حيث اشتماله على مغزى وعظي وبيانه لمآل اعتباري ينتهي إليه الحدث القصصي لغاية تربوية ترشيدية، وكلا النوعين القصصيين يصدران من حيث الطرح والرؤية عن واقعية لا إغراب فيها ولا تهويم. [5]

وللقصة طريقتان:

1- طريقة عرض الأحداث بشكل تقرير تنتقل فيه الحكاية من مرحلة حتى تبلغ نهايتها.

---

[1]- المرجع نفسه، ص 80.

[2]- العرابي لخضر، مفهوم القصة القرآنية وأغراضها عند السابقين والمعاصرين ، ص24.

[3]- عبد الكريم الخطيب، القص القرآني في منطوقه ومفهومه مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم ويوسف، ص81.

[4]- سليمان عشراتي، الخطاب القرآني مقاربة توصيفية لجمالية السرد الاعجازي ، ص 80.

[5]- عبد الكريم الخطيب، القص القرآني في منطوقه ومفهومه مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم ويوسف، ص167.

2- طريقة الحوار الذي أن يمثل فيه كل طرف من أطراف القصة ولكل بطل من أبطالها دوره الذي يعبر عنه بأسلوب واضح، ويثير فيها بعض القضايا التي يقف إزاءها البطل الآخر ليعبر عن دوره بكل أمانة ووضوح. [1]

أما قيمة الطريقة الأولى فتتمثل في ملاحقتها للقضايا الصغيرة في التاريخ، ووقوف الراوي أو الحاكي موقف المرشد الذي يقود تفكير السامعين أو القارئين إلى النقاط الأساسية في أسلوب يقرب من التلقين الذي يراد منه تعبئة الفراغ بشكل دقيق، وأما طريقة الحوار فإن قيمتها هي محاولتها تبسيط الفكرة في جميع مجالاتها، فلا يترك أي جانب خفي فيها بالآن كل طرف من أطراف الحوار يحاول أن يثير الجوانب التي يؤمن بها ويدافع عنها. [2]

والقصص القرآني ليس عملا مستقلا في موضوعه وطريقة عرضه وإدارة حوادثه كما هو الشأن في القصة الفنية الحرة التي ترمي إلى أداء غرض فني مجرد، بل كانت القصة القرآنية وسيلة من وسائل القرآن الكثيرة إلى تحقيق هدفه الأصيل...شأنها في ذلك شأن الصور القرآنية الأخرى، والغريب العجيب في هذا القصص أن التعبير القرآني ألف فيه بإبداع لا حد له بين الغرض الديني والغرض الفني معا، وجعل من الجمال الفني أداة مقصودة للتأثير الوجداني فخاطب حاسة الوجدان الدينية بلغة الجمال الفنية. [3]

والقصص القرآني كله عرض لأحداث تاريخية مضى بها الزمن فهو- والأمر كذلك- وثيقة تاريخية من أوثق مابين يدي التاريخ من وثائق، فيما جاء فيه من أشخاص وأحداث وما يتصل بالأشخاص بالأحداث من أمكنة وأزمنة.

---

[1]- محمد حسين فضل الله، الحوار في القرآن قواعده أساليبه معطياته، دار المنصوري للنشر، قسنطينة، (د، ط)، (د، ت)، ص 18.

[2]- المرجع نفسه، ص 18.

[3]- صلاح الدين عبد التواب، الصورة الأدبية في القرآن الكريم، الشركة المصرية العالمية للنشر، مصر، ط1، 1995، ص

فالقصة القرآنية بنيت بناءا محكما من لبنات الحقيقة المطلقة التي لا يطوف بجمالها طائف من خيال ولا يطرقها طارق منه، ثم هي مع هذا " **القصة** " حيث سمي القرآن كل ما جاء على هذا النحو قصصا فقال تعالى مخاطبا النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿ **نَحْنُ نَقُصُ عَلَيْكَ أَحْسَنَ القصص** ﴾. **يوسف 3**

وقال جل وعلا: ﴿ **إن هَذَا لَهُوَ القَصَصُ الحَقُّ** ﴾. **آل عمران 62**

هكذا أطلق القرآن لفظ القصص على ما حدث به من أخبار القرون الأولى، في مجال الرسالات السماوية، وما كان يقع في محيطها من صراع بين قوى الحق والظلال، وبين مواكب النور وجَحافيل الظلام.[1]

والذي يتبع القصص القرآني يجد أن أحداثه كلها تقريبا تدور في محيط الدعوة إلى الله والى تحرير العقيدة وتصفيتها من العبودية لغير الله، وتوجيهها إلى عبادة الإله الواحد الخالق رب العالمين، ولذلك كانت دعوات الأنبياء هي الشخصية الغالبة في القصص القرآني بحيث ساغ أن يسمى القصص باسم صاحب الدعوة فيقال: قصة يوسف، قصة موسى، قصة يونس، وقصة هود ونوح وصالح وآدم... وهكذا.[2]

في سورة يوسف، تمتد القصة المكتملة عبر فضاء السورة خطابا، بتتبع مراحل حياة الفاعل وأطواره، بدءا من حادثة الرؤية التي تنبأ له بالتمكن، مرورا بواقعة زمنية في الجب، فتبنى العزيز له في مصر ، فحادثة الاستغواء وسجنه ظلما، وانتهاء بقيامه على شؤون الحكم واجتماعه بذويه...

فالسورة قد استوعب بنية قصصية مكتملة واحدة ويمكن التمثيل لذلك بالرسم البسيط التالي:[3]

[1]– عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه مع دراسة تطبيقية لقصتي أدم ويوسف، ص39–40.

[2]– المرجع السابق، ص43.

[3]– سليمان عشراتي، الخطاب القرآني مقاربة توصيفية لجمالية السرد الاعجازي، ص 72.

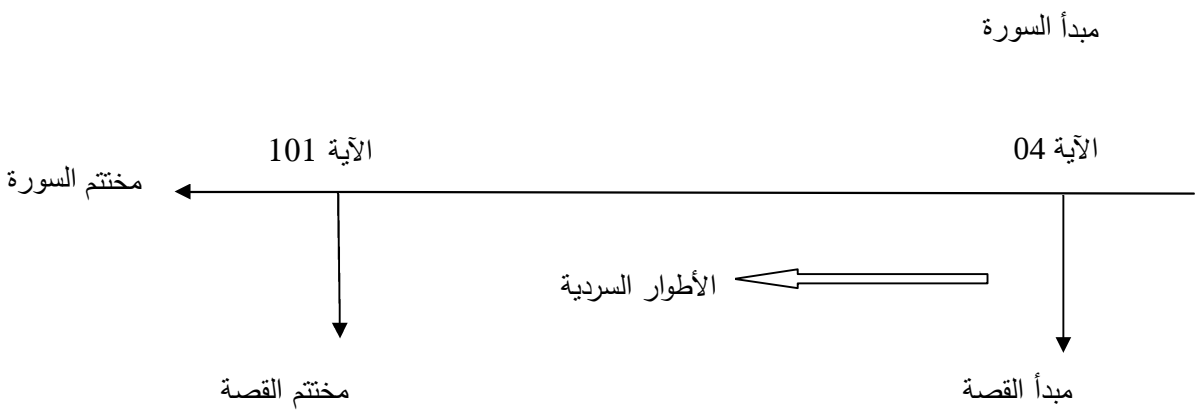

فالشكل يمثل قضاء سوريا واحدا بمعمار قصصي مكتمل واحد1.

3- الحوار:

أ- تعريف الحوار:

لغة:

يرى الزمخشري (ت538هـ)في أساس البلاغة أن الحوار من حواراته : راجعته الكلام وهو حسن الكلام وكلمته فما رد على محورة، وما أحار جوابا أي ما رجع.[2]

وإذا كان الحوار في اللغة يعني مراجعة الكلام بين طرفين متخاطبين، فأصل كلمة حوار عند ابن منظور (ت 711 م) في لسان العرب من "الحوار (بفتح الحاء وسكون الواو)، وهو الرجوع عن الشيء والى الشيء، فيقال حار إلى الشيء وعنده حوار ومحارا وحاورة، وحؤورا: رجع عنه وإليه، والمحاورة: مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة.[3]

[1]- المرجع السابق، ص73.

[2]- الزمخشري أبو القاسم، أساس البلاغة، ت: عبد الرحيم محمود، انتشارات دفتر تبليغات الأمير، (د، ط)، ص 98.

[3]- ابن منظور ، لسان العرب، دار صادر، ج2، ط1، بيروت، 1997، ص182.

كما يعني الحوار في القاموس المحيط المحيط للفيروز آبادي(ت: 817م) الرجوع كالمحار والمحارة والحؤور والنقصان والمحاورة والمحورة: الجواب كالحوير والحوار والحيرة والحويرة مراجعة المنطق، وتحاوروا: تراجعوا الكلام بينهم... والتحاور التجاوب.[1]

الحوار اصطلاحا:

يعد الحوار« حديث يدور بين اثنين على الأقل ويتناول شتى الموضوعات، أو هو كلام يقع بين الأديب ونفسه أو ما ينزله مقام نفسه يفرض عليه الإبانة عن المواقف والكشف عن خبايا النفس ».[2]

والحوار هو حلقة من حلقات التواصل بين أفراد المجتمع حول موضوع معين بطريقة مهذبة وسلسة بعيدا عن الصراع والتخاصم للوصول إلى هدف ما أو غاية نبيلة، كما يعد من قيم الحضارة الإسلامية وهذا لما يعتمد عليه من أسس سليمة ووسائل نظيفة، عادة ما يكون هذا الحوار داخلي بين الشخصية وذاتها للكشف عن خبايا النفس حيث نجده مذكورا في القرآن الكريم مرات كثيرة وهذا دليل على مدى أهميته في حياتنا اليومية. [3]

وفي مفهوم آخر للحوار نجده يتجلى فيما يلي: « أنه ظاهرة أدبية تشمل كل نواحي الحياة المختلفة لأنه يمثل الحديث والكلام الدائر بين الناس، وهو اشتراك طرفين أو أكثر في الإحساس في موقف معين يشارك فيه الملقي والمتلقي في إبداء رأي معين أو طرح فكرة غالبا ما تكون فيها الآراء متضاربة ». [4]

[1]– الفيروز آبادي مجد الدين بن يعقوب، القاموس المحط، ج2، ط1، 1999، ص 151.

[2]– جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1984، ص100.

[3]– كنزة عزيزي، بنية الحوار في رواية " كبرياء وهوى "، كلية الآداب واللغات، جامعة أم البواقي، 2015، ص11.

[4]– ليلى محمد ناظم الحيالي، جمهرة النثر النسوي في العصر الإسلامي والأموي، مكتبة لبنان، ط1، بيروت، لبنان، 2009، ص42.

ومن خلال هذه المفاهيم التي عرضناها حول الحوار نجد بأنه عبارة عن طريقة لتبادل الكلام بين متحاورين اثنين أو أكثر حول موضوع معين، الهدف من هذا هو الوصول إلى الحقيقة بوجهات نظر مختلفة.

ب- الحوار في القرآن الكريم:

لقد ورد الحوار في القرآن الكريم بكثرة والمتأمل في كتاب الله يجد أنواعا شتى من الحوار، منه حوار الأنبياء مع الناس الذين بعثوا إليهم خصوصا حوارهم مع الطغاة والمشركين مثل حوار إبراهيم عليه السلام مع أبيه، وحواره مع ملك النمرود ويسمى هذا الأخير حجاجا، وحوار موسى عليه السلام مع فرعون وحواره مع السامري، وحوار محمد عليه الصلاة والسلام مع الأعراب وحواره مع الجن وغير ذلك كثيرا جدا. [1]

وهناك حوار بني آدم (قابيل وهابيل)، وحوار بلقيس ملكة سبأ مع حاشيتها وتشاورها معهم لنجاة من قبضة سيدنا سليمان عليه السلام، وهناك حوارات كثيرة في القرآن الكريم بين الله سبحانه وتعالى وأنبيائه الكرام عليهم الصلوات والسلام وبعض خلقه، وتختلف بنية كل حوار فقد يكون الله سبحانه وتعالى هو الذي يبدأ الحوار كما بدأه مع ملائكته الكرام في الآيات السابقة، وقد يكون العكس يبدأ الحوار بعض خلقه كما بدأ سيدنا إبراهيم عليه السلام الحوار مع خالقه. [2]

وكما ورد في الآية الكريمة: ﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ المَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ أَدْعُهُنَّ يَاتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمَ أَنَّ الله عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾. [3]

---

[1]- زاوي أحمد، بنية اللغة الحوارية في روايات محمد مفلاح، كلية الآداب واللغات والفنون، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة وهران، الجزائر، 2014، ص 18.

[2]- المرجع نفسه، ص 18.

[3]- سورة البقرة، الآية 260.

ويبدوا من هذا الحوار أن (**المحاور**) أو المتكلم هو إبراهيم (**عليه السلام**) والمرسل إليه أو (**المخاطب**) هو الله تعالى وموضوع الحوار هو كيفية إحياء الله تعالى الموتى، وقد بدأ يحاور به بنداء وطلب فيه أدب جم (**رب أرني كيف تحيي الموتى**) وقد اعتمد أسلوب الحوار على أسئلة وأجوبة، وذكر في تفسير القرآن أن سيدنا إبراهيم (**عليه السلام**) مع إيمانه الشديد الذي لا يساوره شك في ما سأل عنه، أراد أن يعلم السامعين غرضه فطلب المعاينة المضمونة إلى الاستدلال.

وقد اعتمد القرآن الكريم على أسلوب الحوار بكثرة فقد حاور الله سبحانه وتعالى خلقه منذ الأزل بهذا الأسلوب الراقي، فكان أول حوار يبينه القرآن أن الله تعالى عندما أراد إعمار الأرض خاطب وحاور ملائكته الكرام في قوله: [1] ﴿ **وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى المَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمُ صَادِقِيَن، قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلمتنا إِنَّكَ أَنْتَ العَلِيمُ الحَكِيمُ** ﴾. [2]

والمتأمل في هذه الآيات الكريمة سيدرك ولا شك هذا الحوار القرآني يبين الطرف المحاور الأكبر الأول وهو الله سبحانه وتعالى مع الملائكة الكرام.

ونلحظ أن المتكلم الأول (الله سبحانه وتعالى) تحول إلى مخاطب، وأن الملائكة الكرام المخاطبون تحولوا إلى متكلمين، وأن الله تعالى يمثل الذات العليا الذي لا يرد له أمر بيد أن الملائكة تمثل الذات السفلى أمام الله خالقهم ومولاهم.

كما يظهر جليا من الآتين الكريمتين أن هذا الحوار الذي دار بين الله عز وجل وملائكته الكرام هو كلام الله، وقد بنيت لغته بناء يختلف عن بناء الحوار الآدمي لأنه

[1]– زاوي أحمد، بنية اللغة الحوارية في روايات محمد مفلاح، كلية الآداب واللغات والفنون، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة وهران، الجزائر، 2014، ص 19.

[2]– سورة البقرة الآيتين: 31–32.

كلام جليل منزه عن الزلل لا يأتيه الباطل من بين أيديه ولا من خلفه، إنه حوار قرآني معجزة بلغته وألفاظه لأن المفسرين اختلفوا في تأويله ولا يعلم تأويله إلا الله عز وجل. [1]

ج- مفهوم البنية الحوارية:

تعتبر البنية الحوارية مفهوما حديثا يرتكز على الحوار بصفة كبيرة باعتبارها شرطا أساسيا من حيث أنه مشاركة أو مبادلة أطراف الحكي بين المتحاورين للوصول إلى المعنى الحقيقي أو الدلالي الأعمق والأشمل، فنجد في مفهوم البنية الحوارية أن الناقد الكبير"**ميخائيل باختين**" هو أول من أطلق مفهوما واضحا وجليا للبنية الحوارية « قصد به من حيث كون النص الروائي ملفوظا تلك العلاقة الرابطة بين التلفظ والتلفظ الذي قبله، أما من حيث كونه خطابا أدبيا فإنه يرى أن الخاصية الحوارية هي ظاهرة شخصية أو مشخصة لكل خطاب لا تأتي غلا من التفاعل الحي بين الخطابات، ثم يعبر " باختين " عن نوع آخر من الحوارية هي حوارية تفاعل الأصوات المتعمدة في العمل الروائي الفني التي أخذت تظهر بقوة في الأدب العالمي بعد دوستيفيسكي ». [2]

وهناك سمة أخرى للحوار وهي تتمثل في تجسيدها للموقف أمامك فتشعر فيه بالحياة المتحركة التي تنتقل من موقف ومن جو إلى جو، وتعيش فيها الأحداث الماضية من خلال أبطالها الذين تشعر بهم وأنت مندمج في القصة، يتحركون أمامك في أدوارهم وأوضاعهم كما لو كنت حاضرا معهم...ويمتد الشعور معك إلى إحساسك بالجو الذي يخيم على الموقف، وبالمعاني الخفية التي تختفي وراء الكلمات تماما كما لو كان البطل يتحدث إليك حيث تندمج معه بالإيحاء مع الكلمة وبالإحساس الخفي مع الحركة.

[1]- زاوي أحمد، بنية اللغة الحوارية في روايات محمد مفلاح، كلية الآداب واللغات والفنون، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة وهران، الجزائر، 2014، ص20.

[2]- قيس عمر محمد، البنية الحوارية في النص المسرحي (ناهض الرمضاني نموذجا)، دار غيداء، عمان،ط2012،1، ص 35.

ومن الطبيعي أننا لا نستطيع الحصول على أكثر هذه الجوانب في عرض القصة بالطريقة التقريرية التي تتحدث عن الموضوع بأسلوب الحكاية أو التقرير، وإن كانت قد تعطينا معرفة تفصيلية للموقف وربما كان هذا هو السبب في تركيز القرآن الكريم على الحوار القصص في أكثر من موقف وفي أكثر من قصة، من أجل التأكيد على الصورة الحقيقية المتجسدة المتحركة للتاريخ الرسالي الذي يراد له أن يرتبط بالحاضر في عملية وحدة رسالية رائعة، أو للقضايا الحيوية التي يريد القرآن الكريم إثارتها في حياة الناس وتعميقها في نفوسهم. [1]

وليس من الضروري أن يوجد الحوار في كل قصة وقد تخلو منه القصة وتمضي على أنها سورة لشخص أو رسم لحادثة، وهذا هو الغالب في القصص القصيرة، ثم هذا هو الأمر الذي مضى عليه القرآن الكريم في كثير من قصصه الذي يقصد فيه التخويف، لكن مع كل هذا نجد كثيرا من القصص القرآني كان الحوار فيه عنصرا مهما إن لم يكن العنصر البارز وهو موجود على كل حال في كل قصة تعددت شخصياتها، وذلك من مثل قصة يوسف وقصة موسى في طه وقصة آدم في الأعراف، ثم في مجموعات قصص سورتي هود والشعراء وفي قصة إبراهيم في سورة مريم وفي غيرها من القصص الذي يراد به التثبيت أو شرح مبادئ الدعوة الإسلامية. [2]

والمتن القرآني يحفل بالحوار فهو يبني به المواقف والوقائع ويقرر التوجيهات ويعرض القضايا، لذلك نراه يلقن صيغة للفواعل **(الرسل)** كي يتجاوزوا منطق الجحود الذي يعيق دعوتهم عن الذيوع. [3]

وموضوعات الحوار في القصص القرآني هي الموضوعات الدينية في الغالب وهي الموضوعات التي بسببها قام بين النبي عليه السلام وقومه جدل عنيف، وتلك من الأمثال

---

[1]– محمد حسين فضل الله، الحوار في القرآن قواعده أساليبه معطياته، دار المنصوري للنشر، قسنطينة، (د، ط)، (د، ت)، ص 18– 19.

[2]– محمد أحمد خلف الله، الفن القصصي في القرآن الكريم، مكتبة الأنجلو المصرية،ط3، 1965، ص301– 302.

[3]– سليمان عشراتي، الخطاب القرآني مقاربة توصيفية لجمالية السرد الاعجازي، ص187.

الوحدانية والبعث وكون الرسل من البشر وليسوا من الملائكة وإحداث الأمور أو المعجزات الخارقة للدلالة على النبوة وغيرها. [1]

وللحوار وظيفة بنائية تضيء الحدث وهو فعل من الأفعال به يزداد المدى النفسي عمقا ويحتدم الصراع ويتأزم الموقف، الأمر الذي يبعث الحركة والحيوية في فنية القصة القرآنية،[2] فالعلاقة الحوارية بين القصة القرآنية تؤطر القصة وتشيع فيها حيوية سردية تجعل من الموضوع القصصي بنية واضحة المعالم حيال ذهن المتلقي، فيتملأها من سائر جوانبها من خلال وظيفة الحوار الكشفية. [3]

فالحوار هو محرك الأحداث ومصور للشخصيات ...ومؤد إلى الهدف ومظهر للمغزى، ولقد كان في القصة القرآنية على صور وأشكال فقد يكون على صورة حوار ذاتي بين الشخص وعقله أو قلبه كما في قصة إبراهيم وهو ينظر إلى الكوكب والقمر والشمس ويفتش عن إلاهه، وقد يكون بين شخصيتين كما في حوار إبراهيم مع أبيه أو قومه، وقد يكون بين الشخصية وعنصر آخر كالجن أو الطير أو الشيطان، وقد يكون بين الخالق والمخلوق أو بين النبي وقومه وهكذا على أن هناك ملاحظة أساسية في طبيعة الحوار بمجمله وعلى مختلف ضروبه، هي انه لا يوضع على ألسنة الشخصيات وإنما ينطلق منها انطلاقا طبيعيا أو تلقائيا دون أن يحسن القارئ بشيء من آثار الصنعة أو التكلف لأنه كلام الله عز وجل القادر على كل شيء. [4]

لقد كان أسلوب النبي محمد صلى الله عليه وسلم في طريقة الحوار مع خصومه مثلا رائعا على حيوية القاعدة الإسلامية في أسلوب الحوار ومرونتها...، وقد كانت مسيرة الدعوة في الممارسة الرسالية خاضعة في خطوطها العامة والخاصة الحركة النبي، فقد

[1]– محمد أحمد خلف الله، الفن القصصي في القرآن الكريم، ص 302.

[2]– محمد الدالي، الوحدة الفنية في القصة القرآنية، ص 245.

[3]– سليمان عشراتي، الخطاب القرآني مقاربة توصيفية لجمالية السرد الاعجازي، ص85.

[4]– بكري شيخ أمين، التعبير في القرآن، دار الشروق، بيروت، ط3، ص 223.

كان هو الذي يتولى عملية خلق الجو الطبيعي للحوار وإدارته ودفع الدعوة إلى أن تتحرك في إطاره، وبذلك كانت سيرته تجسيدا عمليا لكل القواعد العامة في الفكرة والأسلوب. [1]

فالحوار عنصر أساسي من عناصر حركة العقيدة في اتجاه الكمال... حتى في يوم القيامة لا يقف الإنسان مكتوف اليدين أمام مصيره، بل يترك له مجال الدخول في حوار وجدال يدافع به عن نفسه حتى أمام الله الذي يعلم كل شيء ولا يغرب عن عمله مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور وذلك في قوله تعالى: ﴿ **يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُل نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمُ لَا يُظْلَمُون** ﴾. **النحل 111**

إن الجملة في الحوار وضعت أصلا لتقال ولينطق بها الشخص وليست كالمحاكاة أو الوصف أو السرد، وإنما إيقاعها من نوع مخالف يتراوح بين الطول والقصر والإيجاز والإطناب لملائمة الموقف الذي تقال فيه.[2]

وطريقة القرآن في تصوير الحوار تقوم على أساس الرواية فيحكي القرآن أقوال الأشخاص ويصدرها بقوله قال أو قالا أو قالوا.

هذا التصوير يلفت ذهننا إلى أمر خاص بالحوار في القصص القرآني هو أنه ليس من اللازم أن يكون الحوار بين اثنين فقد يكون بين كثرة، وكل هذه الأمور ملحوظة في القصص القرآني فيكون الحوار بين واحد من طرف واثنين من طرف آخر، كما هو واضح في قصة موسى في سورة طه موسى فقد كان وهارون الركن الثاني الواقع في أكثر القصص القرآني بين الرسل وأقوامهم. [3]

أساليب الحوار وقواعده ومعطياته علة غرار ما فعل محمد حسين فضل الله في كتابه " الحوار في القرآن " برغم أهمية الدراسة في تصنيف بعض النصوص من حيث

---

[1]– محمد حسين فضل الله، الحوار في القرآن قواعده أساليبه معطياته، ص 55.

[2]– محمد الدالي، الوحدة الفنية في القصة القرآنية، ص 245.

[3]– محمد أحمد خلف الله، الفن القصصي في القرآن الكريم، ص 303.

طبيعة بعض المخاطبين ووضعية الخطاب، غير أننا نركز على العبارة القرآنية من حيث هي فعالية خطابية نعيد بفضلها تنظيم منطق الخطاب القرآني على ضوء الدراسات الحديثة، كالتداولية pragmatique والغرض من هذا هو المساهمة في بناء منهج علمي يسهم بدوره في المناخ الفكري الذي يسعى إلى التفكير في فلسفة اللغة في ضوء اللسانيات والمنطق، وكان الغرب قد توصل إلى نتائج بالغة الأهمية بصدد أثر اللغة في الثقافة، وأن بنية اللغة والفكر أمر واحد ومن ثم فاللغة ليست أداة أو وسيلة للتخاطب والتفاهم والتواصل فحسب، وإنما اللغة وسيلتنا للتأثير في العالم وتغيير السلوك الإنساني من خلال مواقف. [1]

[1]– آمنة بلعلى، الإقناع: المنهج الأمثل للتواصل والحوار نماذج من القرآن الحديث، التراث العربي، ع89، 2003/1/1، ص 207.

الفصل الأول

قصة يوسف عليه السلام
دراسة تداولية

الفصل الأول: قصة يوسف عليه السلام

دراسة تداولية

4- مفهوم التداولية

5- نماذج حجاجية من قصة يوسف عليه السلام

6- الأفعال الكلامية في قصة يوسف عليه السلام

1- التعريف اللغوي للتداولية في المعاجم اللغوية:

دَول: العقبة في المال والحرب سواء، وقيل: الدُوَلةُ بالضم في المال والدَولةُ بالفتح في الحرب الفعل، وفي حديث أشراط الساعة: إذا كان المغنم دُولاً جمع دُولة بالضم وهو ما يتداول من المال فيكون لقوم دون قوم، وقال الزجاجُ: الدُولة اسم الشيء الذي يُتداول والدولةُ الفعل والانتقال من حال إلى حال...كأنه كي لا يكون الفيء دُولة أي متداولاً. [1]

وفي معجم أساس البلاغة للزمخشري: دول: دالت له الدولة ودالت الأيام بكذا وأدال الله بني فلان من عدوهم: جعل الكرّة لهم عليه، وعن الحجاج: إن الأرض ستُدال منا كما أدلنا منها، وفي مثل " يُدال من البقاع كما تُدال من الرحال " وأُديل المؤمنون على المشركين يوم بدر، وأُديل المشركون على المسلمين يوم أُحُد، واستدلتُ من فلان لأدال منه، واستدل الأيام بين الناس مرة لهم ومرة عليهم، والدهر دُوَلٌ وعَقَبٌ ونُوَب وتداولوا الشيء بينهم والماشي يداول بين قدميه يراوح بينهما، ونقول دَوَاليك أي دالت لك الدولة كرّة بعد كرّة وفعلنا ذلك دَوَاليك بعضها في اثر بعض. [2]

وبناءا على ما تقدم من التعاريف اللغوية السابقة يتضح أنها لا تخرج عن الجذر "دول" والتي تحمل معاني التنقل من حال إلى حال والتبذل والتغيير...

التعريف الاصطلاحي للتداولية:

إن أقرب حقل معرفي إلى التداولية la pragmatique في منظورنا هي" **اللسانيات** " وإذا كان الأمر كذلك فإنه من المشروع البحث في صلة هذا العلم التواصلي الجديد باللسانيات وبغير اللسانيات من الحقول المعرفية الأخرى، إما لأنها قريبة منه أو لأنه يشترك معها في بعض الأسس العلمية نظرية كانت أو إجرائية وذلك قبل وضع تعريف للتداولية أو تحديد مفهومها، ومن ثم نرى أنه من اللائق التساؤل عن المعيار الذي يصلح

[1]- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، مج5، ط1، 1863م، ص 327.

[2]- الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998، ج1، ص 303.

أن يكون ضابطا في تحديد مفهوم التداولية، فعلى أي معيار نحدد هذا المفهوم؟ هل نحدده بناءا على معيار البنية اللغوية؟ إن هذا الصنيع يجعلها مساوية للسانيات البنيوية فلا يكون أي فرق بينهما وليس هذا ما تقدمة البحوث التداولية ! هل نحدده على معيار الاستعمال اللغوي وحده؟ إن تحديده على الضابط فيه إقرار بأنه لا صلة تذكر بينه وبين البنية اللغوية، وهو ما يخالف أيضا النتائج التي انتهت آخر الأبحاث والدراسات التداولية، هل نحدده بناءا على تعالق البنية اللغوية بمجال استعمالها؟ إن هذا الصنيع يبدو مبررا لكنه إذا ذكر إجمالا دون تفصيل قد يُغفل بعض الصلاة الرابطة بين العلوم المتشابكة والمتكاملة مفاهيميا خاصة مجالات: الفلسفة والتداوليات اللغوية وعلم المعرفي وعوم الاتصال. [1]

فالتداولية ليست علما لغويا محضا بالمعنى التقليدي علما يكتفي بوصف وتفسير ولكنها علم جديد للتواصل، يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال ويدمج ومن ثم مشاريع معرفية متعددة في دراسة ظاهرة التواصل اللغوي وتفسيره، وعليه فإن الحديث عن التداولية وعن شبكتها المفاهيمية يقضي الإشارة إلى العلاقات القائمة بينها وبين الحقوق المختلفة، لأنها تمشي بانتمائها إلى حقول مفاهيمية تضم مستويات متداخلة كالبنية اللغوية وقواعد التخاطب والاستدلالات التداولية والعمليات الذهنية المتحكمة في الإنتاج والفهم الغويين، وعلاقة البنية الغوية بظروف الاستعمال...الخ. 2

فنحن نرى أن التداولية تمثل حلقة وصل هامة بين حقول معرفية عديدة منها: الفلسفة التحليلية ممثلة في نظرية الملائمة " **pertinence théoriede** " على الخصوص ومنها اللسانيات بطبيعة الحال. [3]

---

[1]– حافظ إسماعيلي علوي، التداوليات علم استعمال اللغة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2010، ص 15.

[2]– مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2005م، ص 17.

[3]– المرجع نفسه، ص 17.

ومن جملة التعريفات التي قدمت للتداولية اخترنا كنها كالتالي:

يقول دلاش (Dalash): " إنه تخصص لساني يدرس كيفية استخدام الناس للأدلة اللغوية في صلب أحاديثهم وخطاباتهم، كما يعني من جهة أخرى بكيفية تأويلهم لتلك الخطابات والأحاديث. [1]

ونجد أيضا تعريف عند آن ماري دبير(Anne Marie Diller) وفرانسوا ريكاناتي (François Récanati) كالتالي: التداولية هي دراسة استعمال اللغة في الخطاب شاهدة في ذلك على مقدرتها الخطابية. [2]

كما نجد أيضا التداولية هي: دراسة للغة بوصفها ظاهرة خطابية وتواصلية واجتماعية في نفس الوقت. [3]

وبناءا على ما تقدم يمكننا القول كذلك بأن اللسانيات التداولية إنما هي لسانيات الحوار أو الملكة التبليغية . [4]

وعلى الرغم من اختلاف وجهات النظر بين الدارسين حول التداولية وتساؤلاتهم عن القيمة العلمية للبحوث التداولية وتشكيكهم في جدواها...فإن معظمهم يقر بأن قضية التداولية هي إيجاد القوانين الكلية للاستعمال اللغوي والتعرف على القدرات الإنسانية للتواصل اللغوي وتصير التداولية من ثم جديرة بأن تسمى علم الاستعمال الغوي. [5]

لقد دارت معاني الحجاج حول مادة (ح، ج، ج) في المعاجم اللغوية ومنها:

---

[1]– الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية لطلبة معاهد اللغة العربية وآدابها، تر: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د، ط)، (د، ت)، ص 1.

[2]– فرونسواز أرمينيكو، المقاربة التداولية، تر: د سعيد علوش، مركز الانتماء القومي، بيروت، لبنان،لاص 7.

[3]– فليب بلانشية، التداولية من أوستين إلى غوفمان، دار الحوار للنشر، اللاذقية، سوريا، ط1، 2007م، ص 19.

[4]– الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية لطلبة معاهد اللغة العربية وآدابها، ص 1.

[5]– مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، ص17– 18. 17.

" الحجة : البرهان وقيل الحجة ما دوفع به الخصم، والحجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة...التحاج: التخاصم، الاحتجاج من احتج بالشيء أي اتخذه حجة...والحجة الدليل والبرهان، وأحج خصمي أي أغلبه بالحجة ". [1]

وقال الجرجاني: " **الحجة ما دُل به على صحة الدعوى وقيل الحجة والدليل واحد**".[2]

ولقد أثار الخطاب القرآني في أساليبه الرسالية أكثر من طريقة من أجل الإقناع والوصول إلى عقل الإنسان وشعوره فيما يفكر في قضايا العقيدة والحياة، ليصنع بالفكرة الحق والطريق المستقيم الذي يوصل الإنسان إلى الله دونما إرباك لعقله أو وجدانه، ولقد اعتبر الجدال بالحجة وجها من وجوه إعجاز القرآن الكريم باعتباره من بين الأساليب المنطقية الدقيقة في تقرير الحقائق وإيصال الأفكار وتوضيح المسائل العقائدية، حيث اتفق فيه أيضا استنباط الأدلة التي توافق العقول وموافقة ما تضمنه لأحكام العقل على وجه يُبهر ذوي العقول. [3]

ويتمثل الجدل القرآن في براهينه وأدلته التي اشتمل عليها وساقها لهدية الكافرين وإلزام المعاندين في جميع ما هدف إليه من المقاصد والأهداف التي يريد تحقيقها وترسيخها في أذهان الناس في جميع أصول الشريعة وفروعها، واستعمل القرآن الكريم في جداله كل الوسائل التي تأخذ بيد الخصم إلى الاقتناع وقبول الحق وسلك كل ما يمكن أن تتصوره عقولنا من الطرق البرهانية والوسائل البيانية لإثبات الحق لأنه يعلو ولا يُعلى عليه، ولقد استعمل القرآن إضافة إلى ذلك طرق الإلزام والإفحام فاكتملت بذلك هدايته، وقامت به حجته واتضحت محجته والهدف القرآني في جداله ليس هو الغلبة على الخصوم من أجل الغلبة فقط، بل من أجل إحقاق الحق وإقراره وإزهاق الباطل ودحضه

[1]– أبو الفضل جمال الدين بن محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، المجلد2، ط3، بيروت، لبنان، 1994، ص 228.

[2]– الجرجاني (الشريف علي بن محمد)التعريفات، دار اللسان العربي، بيروت، لبنان، 1992م، ص 482.

[3]– محمد التُومي، الجدل في القرآن الكريم، شركة الشهاب، الجزائر، 1997م، ص 165.

ولجعل المناوئين يتحركون معه في الخط الذي يسير عليه ليتحدد الموقف والمصير من خلال القناعة الذاتية المرتبطة بالبرهان الواضح والحجة القوية، ولذا فإن أساليبه يجب أن تسهم في الوصول إلى الهدف وإن طال بها المجال واختلفت مبادراتها من أنواع الانفعالات النفسية التي تدعوا إلى السرعة والارتجال. [1]

ولذلك يعتبر الجدل من الأقيسة المنطقة التي يمكن استنباطها من النص القرآني والتي سيقت لغرض إعطاء الحجة بغية إقناع المتلقي، وحمله على التسليم والإيمان بالفكرة المطروحة بعد دفعه عن فساد قوله وتصحيح كلامه، فلا ينبغي عند صاحب العقل السليم ما يجعله يمنعه أو يرده وخاصة فيما يتعلق بالأمور البديهية التي يتفق حولها سليمو العقول، وقد ذكر هذه الأمور الجرجاني في قوله: « **واعلم أن العمدة من هذه المبادئ الأول السبعة هي الأوليات، إذ لا يتوقف فيها إلا ناقص الغريزة كالبلة والصبيان أو مدنس الفطرة بالعقائد المضادة للأوليات كما لبعض الجهال والعوام، ثم القضايا الفطرية القياس ثم المشاهدات ثم الوهميات، أما المجريات والحدسيات والمتوترات فهي وإن كانت حجة للشخص مع نفسه لكنها حجة على غيره إلا إذا شاركت في الأمور المقتضية لها من التجربة والحدس والتواتر، فلا يمكن أن يقنع جاحدها على سبيل المناكرة** ». [2]

فالجدل القرآني إذن هو ما استعمله القرآن من براهين وأدلة وحجج ومختلف أشكال الاستدلال وطرق الإلزام والإفحام لجعل الخصم يسير وفق المنهج الذي سطره القرآن، كذلك بغية إيصاله في الأخير إلى الإقناع، وأما المواضيع التي يدور فيها الجدل القرآني

[1]– يوسف عمر لعساكر، الجدل في القرآن خصائصه ودلالاته، جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر، كلية الآداب واللغات، 2004م، ص80.

[2]– آمنة بلعلى، الإقناع: المنهج الأمثل للتواصل والحوار نماذج من القرآن الحديث، ص 220.

فإنها لا تخرج عن محورين أساسيين هي العقائد وأصول الشريعة ولكن جل الجدل القرآني يدور حول العقائد. [1]

وكما يعرف طه عبد الرحمان الحجاج بأنه: « **كل منطوق مُوجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليا... ويذهب إلى أن الحجاج يتضمن فعالية تداولية وجدلية فهو تداولي لأن طابعه الفكري مقامي واجتماعي، إذ يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة ومطالب إخبارية وتوجهات ظرفية... وهو أيضا جدلي لان هدفه إقناعي قائم بلوغه التزام صور استدلالية أوسع وأغنى من البنيات الضيقة** ». [2]

مفهوم الحجاج:

ينبغي في البداية أن نشير إلى أن مصطلح الحجاج أعجمي النشأة انتقل إلى اللغة العربية عن طريق الترجمة، ومن الباحثين الذين اهتموا بترجمته ونقله إلى اللغة العربية "**عبد الله صولة**" حيث ترجم المصطلح الفرنسي (Argumentation) بالحجاج، [3] مفاضلاً إياه على مصطلح الاستدلال مقدما حججه وبراهينه التي تسوغُ هذا الاختيار.

وقد أشار روبير في قاموسه إلى أن هذا المصطلح يعني في الفرنسية مجموعة من الحجج التي تستهدف تحقيق نتيجة واحدة، فن استعمال الحجج أو الاعتراض لها في مناقشة معينة. [4]

يقول طه عبد الرحمان: « **إن استقراء أغلب التعريفات التي مست الحجاج يجعلنا نتبين أنها تصب في بوتقة عامة، بَعدَهُ علاقة تخاطبية أساسا محورها المتكلم**

---

[1]– يوسف عمر لعساكر، الجدل في القرآن خصائصه ودلالاته، جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر، كلية الآداب واللغات، 2004م، ص80.

[2]– طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2000م، ص 65.

[3]– عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال خصائصه الأسلوبين، دار الفرابي، ط2، 2007م، ص 8.

[4]– الحبيب، أعراب الحجاج والاستدلال الحجاجي عناصر استقصاء نظري ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2010م، 23/3.

والمستمع ومجراها قضية ما، فالمتكلم يستند إلى جملة من الحجج والبراهين يعضد بها منطقة مبتغيا التأثير في المتلقي وتغيير تصوراته وإقناعه بصحة ما يبسطه داحضا المبسوط إليه » وهذا ما عبر عنه الباحث طه عبد الرحمان في قوله: « **كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها** ». [1]

أولا: الحجاج في الفكر القديم

أ- الحجاج في الفكر الغربي القديم:

اندرج الحجاج قديما في إطار ما يُعرف بالبلاغة والخطابة وفن الإقناع، وكثيرا ما ورد في الثقافتين الغربية والعربية بمعنى الجدل والتناظر والالتقاء وما إلى ذلك، انطلاقا من مؤلفات اليونان إلى أهم ما ورد عند العرب في هذا الشأن.

وقد مثل التراث اليوناني التربة الخصبة التي نبت فيها هذا العلم وترعرع فصار اليوم موضوع مصنفات عديدة من وضع أئمة الفكر الحديث في اللغة والفلسفة، وقد ظل ميدان الحجاج مستندا على البلاغة الكلاسيكية " **أرسطو طاليس** " أو البلاغة الحديثة " **شاييم بيرلمان** " أو يعتمد على المنطق الطبيعي " **غرايس** ". [2]

ب- الحجاج في الفكر العربي القديم:

لقد عانى الدرس الحجاجي في الفكر الغربي ركودا تاريخيا دام مدة طويلة بلغت خمسة عشرة قرنا منذ عهد " **كونتيليان** " و " **شيشرون** " الرومانيان (منذ حوالي القرن الثاني ميلادي إلى حدود عصر النهضة)، فكان اهتمام الدارسين خلال هذه الفترة منصرفا إلى البحث في الجوانب البلاغية والأسلوبية.

غير أن هذا الخفوت في الدرس الحجاجي في الفكر الغربي قابله ازدهار في الفكر الإسلامي الذي احتضن هذا الدرس في سياق انفتاح الثقافة العربية الإسلامية بدءا من

---

[1]- طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1998م، ص 226.

[2]- عبد القادر المهيري، مقدمة كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس، (د، ط)، (د، ت)، ص 6.

القرن الثامن والتاسع على الثقافة اليونانية، وإذا كان الدرس الحجاجي الغربي قد نشأ من المنازعات حول ملكية الأراضي الزراعية وبُنى على أسس ديمقراطية، فإن الحجاج العربي منشأة الشعر العربي كما تحقق أيضا في المنافرات القبلية والخطابة العربية قبل الإسلام.[1]

وما من شك في أن إستراتيجية الإقناع عن طريق الحجاج بعد البعثة النبوية واضحة في القرآن الكريم وأقوال النبي صلى الله عليه وسلم، [2] ثم تنامت الخطابات التي تجسد هذه الإستراتيجية وتبلورت في كثير من العلوم كعلم الكلام والفقه والأصول، بل إن الدرس الحجاجي سَيُتوج بقيام علم خاص يدرس الفاعلية الحجاجية والحوارية سمي بعلم المناظرة وآداب البحث الذي عد نظرية عربية أصيلة في الحجاج. [3]

الحجاج في النص القرآني:

نزل القرآن الكريم بشريعة أبدية بشرية للناس كافة لم يختص فيها بجيل أعرق، لذلك أن يكون فيه من الأدلة والمناهج العقلية ما ينفع الناس على اختلاف أصنافهم وتفاوت مداركهم فيصل إلى الجميع يجد فيه المثقف والعامي. [4]

ويبسط الحجاج في النص القرآني أمرا أساسيا قوامه وجوب الإيمان بالله الواحد الأحد، ويقدم الحجج المدعمة لهذا الأمر بمستويات مختلفة ضد ما يعتقد المتلقون وما يقدمونه من حجج، ويعود التأكيد على الصبغة الحجاجية للقرآن الكريم إلى كون المقبلين والعازفين عنه لهم في غالب الأحيان حجج رغم ضعفها، وهؤلاء أيضا يأتون من مستويات مختلفة وهذه سمة أساسية من سمات الخطاب الحجاجي. [5]

---

[1]– حامد ناصر الظالمي وعايدة جدوع حنون، نشأة الحجاج، ص 10–11.

[2]– عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، ط1، 2004م، ص 447.

[3]– طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 231.

[4]– دورية أكادمية تعنى بالدراسات والبحوث العلمية في اللغة والأدب ، الخطاب، دار الأمل، تيزي وزو، 2006م، ص 43.

[5]– الحواس مسعودي، البنية الحجاجية في القرآن الكريم سورة النمل أنموذجا، مجلة اللغة والآداب، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، ع12، ص 333.

غير أن موضوع الإقناع وإن كان هو فعل الصورة الحجاجية فإن الخطاب القرآني حقق هذا الفعل بواسطة قوى أفعال الكلام المنجزة من خلال العبارات وما تحققه بدورها من آثار ونتائج مهما كانت صفتها، فإن إيقاعها يبقى إقناع الآخر ليس من باب إحداث الغلبة لطرف على حساب الآخر ولكن من أجل الحوار والتواصل. [1]

فالقرآن الكريم كان يسلك بعض مناهج الخطابة في الاستدلال مع علوه عليها وذلك،

1-في أسلوبه لأنه معجز ولا يشبه كلام البشر.

2-لأن كل مقدماته ونتائجه يقينية والأدلة الخطابية كما يقول ابن رشد تقوم على إثبات الحق بأدلة ظنية أو يقينية.

إن أساليب الحوار بدأت مع ظهور الفرق الكلامية وأن الفلاسفة المسلمين هم فقط الذين مارسوا النظر العقلي مما يوقفنا عند محاولة فصل الفلسفة الإسلامية عن الخطاب القرآني وإرجاعها إلى أصول يونانية، فإذا ما أراد المسلمون التواصل مع الغرب بالقرآن وقعوا في الصراع الأمر الذي يدعو إلى اتهام الفعالية العقلانية الإسلامية التي ليست بالضرورة هي نفسها العقلانية الغربية، لأن في ذلك إلغاء للتفرد والخصوصية واختلاف الزمان والمكان مع أن ذلك لا يعني أن يتناقضا لأن التناقض هو الفصل بين العقلانية وعدمها، وخاصة أنه كثيرا ما يوضع الدين في عرف البعض مقابلا للاعقلانية وكأن الحدود بين النظر العقلي والدين حدود فاصلة، والحق أنا ما غاب عن جل الباحثين والمنظرين قديما وحديثا هو أن كثيرا ما يعتبر مكونا ذاتيا للنظر العقلي يتبين عند إمعان النظر فيه أنه مستمد من معان دينية صريحة.[2]

قد تنطبق هذه الدعوى وغيرها على الديانة الغربية والتي لا تحتوي نصوصها على قوانين الاشتغال العقلي، الأمر الذي وسم الخطابات الدينية الغربية بقاعدة "**آمن كي تعقل**

[1]- آمنة بلعلى، الإقناع: المنهج الأمثل للتواصل والحوار نماذج من القرآن الحديث، ص 206.

[2]- طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، الدار البيضاء، المؤسسة الحديثة للنشر، 1987م، ص 163.

"، أما الأمر مع الخطاب القرآني فمختلف لأنه اعتمد على الحجة العقلية ووجه للقوم الذين يعقلون ويمارسون قاعدة " **إعقل لكي تؤمن** " مقابل " **آمن لكي تعقل** "، فإذا ما تجسد اشتغال العقل الخطاب نكون أمام فعالية خطابية تتوفر بالفعل وبالضرورة على أسس التحاور والاستدلالية بمختلف صورها التي ورد بها النص القرآني، والتي لا نستطيع أن نحصيها في أشكال وصورة معينة لعل أهمها الصور الحجاجية باعتبارها الصنف الأكثر قابلية للامساك به، ويمكن التعامل به في مختلف مجالات التثاقف العامة التي تيسر التواصل الإنساني، كما يؤدي إلى الإقناع الذي يفرض المشاركة بين الطرفين المتحاورين دون إكراه، وقد تطال اعتقاد المقتنع فيلتزم بما يعتقد به محاوره إذا اقتنع برأيه واعتقد بصحة الدليل القائم عليه هذا الرأي. [1]

ولذلك كان من أهداف الخطاب القرآني أن ينفذ إلى الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وعندئذ تتعين الحجة المنطقية والأقيسة التي من بينها الاستدلال معين جديد يسمى النتيجة أو المحصلة استنادا إلى قضية أو عدة قضايا تسمى المقدمات. [2]

ولقد اتخذ القرآن الكريم القصص وسيلة القصص وسيلة من وسائل الإقناع والتأثير وضمن فيها أدلته وحججه في الرد على الجاحدين، وكان ذلك على لسان رسله الذين يقر بفضلهم قومهم الذي يقر بفضله المخالفون من العرب، وموسى الذي يعترف به بنو إسرائيل ومحمد عند قومه القُرشيين ومجيء الدليل على لسان رسول يقر بفضله المخالفون ... يعطي قوة فوق قوته الذاتية، إذ تكون الحجة قد أقيمت عليهم من جهتين من جهة قوة الدليل الذاتية ومن جهة أن الذي قاله رسول أمين يعرفونه، فهذا يكون قوة إضافية وفوق ذلك فيه إلزام وإفحام إذ يزعمون أنهم أتباعه وقد يجيء الدليل في بعض الأحيان على

[1]– آمنة بلعلى، الإقناع: المنهج الأمثل للتواصل والحوار نماذج من القرآن الحديث، ص 206.

[2]– آمنة بلعلى، الإقناع: المنهج الأمثل للتواصل والحوار نماذج من القرآن والحديث، التراث العربي، ع89، 2003/1/1، ص 221.

لسان حيوان في إحدى القصص، فيكون في ذلك غرابة تستدعي الذهن وتثير الانتباه وتملأ النفس بالحقيقة.

ومن أمثلة الجدل القرآني الذي اتخذ القصة وسيلة للإقناع قصة يوسف عليه السلام وما خاضه أبوهم من جدال مع أبنائه في إقناعه بأخذ يوسف معهم، أيضا كيف أقنع يعقوب عليه السلام ابنه يوسف على أن لا يقصص رؤياه على إخوته وكيفية إقناع أحد الإخوة في عدم قتل يوسف، وهذا ما نلحظه مثلا في قوله: ﴿ **قال يا بُني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا** ﴾. **يوسف 5**

إن يعقوب عليه السلام كان شديد الحب ليوسف وأخيه فحسده إخوته لهذا السبب وظهر ذلك المعنى ليعقوب عليه السلام بالأمارات الكثيرة، فلما ذكر يوسف عليه السلام هذه الرؤيا وكان تأويلها أن إخوته وأبويه يخضعون له فقال: لا تخبرهم برؤياك فإنهم يعرفون تأويلها **(فَيَكيدَوا لَكَ كَيدَا)** وهو منصوب بإضمار أن المعنى إن قصصتها عليهم وهذه اللام تأكيد للصلة، كقولك نصحتك ونصحت لك وشكرتك وشكرت لك وقيل هي من صلة الكيد على معنى فيكيدوا كيدا لك، قال أهل التحقيق: وهذا يدل على أنه قد كان لهم علم بتعبير الرؤيا وإلا لم يعلموا من هذه الرؤيا ما يوجب حقد أو غضبا. [1]

وبالتالي فقوله تعالى:﴿ **قال يا بُني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا**﴾ **يوسف5**. تتضمن بنية حجاجية هنا تبدأ بالنتيجة لا المعطاة وهي كالتالي: فيكيدوا لك كيدا: الحجة، الفاء: الرابط الحجابي، لا تقصص رؤياك على إخوتك: النتيجة وحين يُورد القرآن خطاب أب لابن نجد قوله (يا بُني) وهو خطاب تحنين ويدل على القُرب من القلب، والرؤية مصدر متفق عليه عن الجميع، فأنت ترى ما يراه غيرك وأما " **الرؤيا** " فهي تأتي للنائم وهكذا نجد الالتقاء في " **رأى** " والاختلاف في الحالة هل هي حالة النوم أو حالة اليقظة، وفي الإعراب كلاهما مؤنث لأن علامة التأنيث إمَّا : " **تاء** " أو " **ألف**

[1]– الرّازي، فخر الدين، تفسير الرّازي، ط1، دار الفكر، لبنان، 1981م، ص 144.

ممدودة " أو " **ألف مقصورة** "، وأخذت الرؤية الحقيقية التي تحدث في اليقظة " **التاء** " وهي عمدة التأنيث، أما الرؤيا المُناهية فقد أخذت ألف التأنيث. [1]

وقوله تعالى: ﴿ **إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وأخوه أحبُّ إلى أبِينَا مِنَّا ونَحْنُ عُصْبَة إنّ أَبَانَا لَفِي ضَلَال مُبِينْ** ﴾ **يوسف8**

قوله تعالى: ﴿ **إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ** ﴾ " **يُوسف** " رفع بالابتداء والام للتأكيد وهي التي يُتلقى بها القسم أي: والله لَيُوسُفُ " **وأَخُوهُ** " عطف عليه.

وقوله: ﴿ **أحبُّ إلى أبِينَا مِنَّا** ﴾ خَبَره ولا يثنَّى ولا يُجمع لأنه بمعنى الفعل وغنما قالوا هذا لأنَّ خبر المنام بلغهم فتآمروا في كيده. [2]

وجاء في تفسير الشعراوي قوله " **ليوسف** " اللام لام الابتداء وفيها تأكيد وتحقيق لمضمون الجملة أرادوا أنّ زيادة محبته لها أمر ثابت لا شبهة فيه وأخوه هو بَنْيَامين، وإنما قالوا أخوه وهو جميعا إخوة لأن أمهما كانت واحدة والعصبة والعصابة العشرة فصاعدا، وقيل إلى الأربعين سموا بذلك لأنهم جماعة تعصب بهم الأمور، ونقل عن علي رضي الله عنه أنه قرأ " **ونحن عصبة** " بالنصب قيل: معناه ونحن نجتمع عصبة. [3]

فقوله: ﴿ **إنّ أَبَانَا لَفِي ضَلَال مُبِينْ** ﴾ لم يريدوا ضلا ل [4] الدين إذ لو أرادوا لكانوا كفّاراً، بل أرادوا: لفي ذهاب عن وجه التدبير في إيثار اثنين على عشرة مع استوائهم في الانتساب إليه، وقيل لفي خطأ بيّن بإيثاره يوسف وأخاه علينا. [5]

---

[1]– الشعراوي، تفسير الشعراوي، ص 6848.

[2]– القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ط1، بيروت، لبنان، 2006م، 11/ 261.

[3]– الرّازي، فخر الدين، تفسير الرّازي، ط1، دار الفكر، لبنان، 1981م، 18/ 94.

[4]– قد يفهم بعض الناس كلمة "ضلال" هنا بالمعنى الواسع لها نقول: لا لأن هناك ضلالاً مقصوداً وهو يعرف طريق الحق ويذهب إلى الباطل وهذا ضلال مذموم، وهناك ضلال غير مثل ضلال رجل يمشي فيسلك طرق لا يعرفها فيضل عن مقصده ومثل من ينسي شيئا من الحق، إذن: فالضلال المذموم هو أن تعرف طريق الحق وتذهب إلى الضلال.
ينظر إلى: الشعراوي، تفسير الشعراوي، ص 6869.

[5]– القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ط1، بيروت، لبنان، 2006م، ص 161، 11/ 261.

وأيضا في قوله تعالى: ﴿ إِنّ أَبَانَا لَفِي ضَلَال مُبِينْ ﴾ هو نتيجة لا تنسجم مع المقدمات، فيوسف وأخوه طفلان ماتت أمهما ولا بُدّ أن يعطف عليهم الأب...وهكذا أخطأ إخوة يوسف في تقدير أمر حب أبيهم ليوسف وأخيه ووصلوا إلى نتيجة ضارة، لأن المقدمات التي أقاموا عليها تلك النتيجة باطلة ولو أنهم محصوا المقدمات تمحيصا دقيقا كما وصلوا إلى النتيجة الخاطئة التي قالوها: **(إِنّ أَبَانَا لَفِي ضَلَال مُبِينْ)** ومنه تكون البنية الحجاجية كالآتي:

الحجة: إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وأخوه أحبُّ إلى أَبِينَا مِنَّا ونَحْنُ عُصْبَة.

النتيجة: إِنّ أَبَانَا لَفِي ضَلَال مُبِينْ.

الرابط الحجاجي: إِنّ. [1]

كما أنهم مختلفون في أمر يوسف عليه السلام فأحدهم يريد أن ينتقم من يوسف وآخر يقترح تخفيف المسألة بإلقائه في الجب، ثم انتهوا إلى أن يوسف أحبُّ إلى أبيهم منهم وفي قولهم لمحة من إنصاف فقد أثبتوا حب أبيهم لهم، ولكن قولهم به بعض من غفلة البشر لأنهم كان يجب أن يلتمسوا سبب زيادة حب ليوسف وأخيه.[2]

فقولهم: ﴿ **فتكونوا من بعده قَوْماً صالحين**...﴾ أي: أنهم يُقدرون الصلاح ويعرفون أن الذي فكروا فيه غيرُ مقبول بموازين الصلاح، لذلك قالوا، إنهم سيتوبون من بعد ذلك ولكن: ما الذي أدراهم أنهم سوف يعيشون إلى أن يتربوا؟ وهو بقولهم هذا نَسُوا أن أمر الموت قد أبهم حتى لا يرتكب أحدٌ المعاصي والكبائر.

أو: أن يكون المقصود ب: **(قَوْماً صَالحين)** هو أن يكونوا صالحين لحركة الحياة ولعدم تنغيص علاقتهم بأبيهم، فحين يخلوُ لهم وجهه سيرتاحون إلى أن أباهم سيعدل بينهم ويهبهم كل حبه فيرتاحون.

---

[1]– الشعراوي، تفسير الشعراوي، ص 6870.

[2]– المرجع نفسه، ص 6869.

أو أن يكون المقصود ب: (**قَوْماً صَالحين**) أن تلك المسألة التي تشغل بالهم وتأخذ جزءا من تفكيرهم إذا ما وجدوا لها حلا فسيرتاح بالهم فينصلح حالهم لإدارة شؤون دنياهم، وهكذا انفهم أن سعيهم إلى الصلاح منوط بمراداتهم في الحياة بحسب مفهومهم للصلاح والحياة. [1]

وهنا تضمنت الحجة رابط منطقي أو بين النتيجتين وأيضا رابط حجاجي منطقي بين الحجتين والبنية الحجابية التي تبدأ بالنتيجة لا المعطاة تبين ذلك كالتالي:

لا تقتلوا يوسف: نتيجة 1 أو رابط حجاجي

اطرحوه أرضا: نتيجة 2

يخل ولكم وجه أبيكم: الحجة1

الواو: الرابط الحجاجي

تكونوا من بعده قوما صالحين: الحجة 2

قال تعالى: ﴿ **اقتُلُوا يُوسُف أوْ اطرَحوه أَرْضًا يخِلُ لكُم وَجُهُ أَبِيكُمْ وَتكُونُوا منْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ** ﴾ **يوسف 9**.

فلما قوى الحسد وبلغ النهاية قالوا لا بد من تبعيد يوسف عن أبيه وذلك لا يحصل إلا بطريقتين، القتل أو التغريب إلى أرض يحصل اليأس من اجتماعه مع أبيه مع أبيه ولا وجه في الشر يبلغه الحاسد أعظم من ذلك، فالقتل هو قمة ما فكروا فيه من الشر; ولأنهم من الأسباط هبط الشر إلى مرتبة أقل فقال: ﴿ **أوْ اطرَحوه أَرْضًا** ﴾، فكأنهم خافوا من إثم القتل; وظنوا بذلك أنهم سيفردون بحب أبيهم، [2] ثم ذكروا العلة فيه وفي قولهم: ﴿ **يخِلُ لكُم وَجُهُ أَبِيكُمْ** ﴾ والمعنى أن يوسف شغله عنا وصرف وَجْهَهُ إليه، فإذا أفقده علينا بالميل والمحبة (**وَتكُونُوا منْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ**) وفيه وجوه الأول أنهم علموا أن ذلك الذي عزموا عليه من الكبائر فقالوا: إذا فعلنا ذلك تُبنا إلى الله ونصير من القوم

[1]– الشعراوي، تفسير الشعراوي، 1/ 75، ص 6871.

[2]– المرجع نفسه، ص6870.

الصالحين، والثاني أنه ليس المقصود هاهنا صلاح الدين بل المعنى يصلح لَشَأْنَكُمْ عند أبيكم ويصير أَبُوكُمْ محبا لكم مشتغلا بشأنكم، وأيضا أنهم قالوا: (**وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ**) وهذا يدل على أنهم قبل التوبة لا يكونون صالحين. [1]

ويقول الحق سبحانه بعد ذلك: ﴿ **قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ** ﴾ **يوسف .10**

وهكذا نرى التخفيف في الشر حين يرفض واحد منهم مبدأ القتل واستبدله بالإخفاء بإلقائه في الجب، ولم يحدد الحق سبحانه لنا اسم القائل حتى يعصمهم جميعا من سوء الظن بهم.[2]

قول تعالى: ﴿ **قال قائم منهم** ﴾ القائل هو يهوذا وهو أكبر ولد يعقوب، قاله ابن عباس وقيل: روبيل وهو ابن خالته وهو الذي قال: ﴿ **فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ** ﴾. **الآية يوسف: 80** وقيل شمعون

(وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الجُبّ) قرأ أهل مكة وأهل البصرة وأهل الكوفة: **فِي غَيَابَتِ الجُبّ**، وقرأ أهل المدينة **فِي غَيَابَتِ الجُبّ** واختار أبو عبيد التوحيد لأنه على موضع واحد ألقوه فيه وأنكر الجمع لهذا، قال النحاس: هذا تضييق في اللغة (**وغيابات**) على الجمع من وجهتين.

حكى سبويه سِيرَ عليه عُشِّيًّا ناتٍ وأُصَيْلا ناتٍ، يريد عُشِيَّةً وأَصِيلاً فكذا جُعل كل موضع مما يغيب غيابة، والآخر أن يكون في الجب غيابات جماعة، ويقال: غَابَ يَغِيبُ غَيْباً وغِيابة وغياباً.

وقوله تعالى: ﴿ **يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ** ﴾ جزم على جواب الأمر، وقرأ مجاهد وأبو رجاء والحسن وقتادة: **(تَلْتَقِطْهُ)** بالتاء وهو محمول على المعنى; لأن بعض السيارة سيارة،

[1]– الرّازي، تفسير الفخر الرّازي، ط1، دار الفكر، لبنان، 1981م، ص 97.

[2]– الشعراوي، تفسير الشعراوي، ص 6871.

وحكى سبويه: سقطت بعض أصابعه. [1]

ورد في تفسير الرازي أن اللغة قالوا: « الغيابة كل ما غيب شيئا وستره، فغيابة الجب غوره وما غاب منه عن عين الناظر وأظلم من أسفله، والألف والام في الجب تقتضي المعهود السابق واختلفوا في ذلك الجب، فقال قتادة: هو بئر ببيت المقدس، وقال وهب هو بأرض الأردن، وقال مقاتل: هو على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب وإنما عينوا ذلك الجب للعلة التي ذكروها وهي قولهم (يلتقطه بعض السيارة)، وذلك لأن تلك البئر كانت معروفة وكانوا يردون عليها كثيرا وإذا شهدوا أخرجوه وذهبوا به فكان إلقاؤه فيها أبعد من الهلاك. [2]

وقال ابن وهب: قال مالك:طرح يوسف في الجب وهو غلام، وكذلك روى ابن القائم عنه يعني أنه كان صغيرا والدليل عليه قوله تعالى: ﴿ **لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَارَةِ** ﴾، قال: ولا يلتقط إلا الصغير، وقوله: ﴿ **وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ** ﴾ وذلك أمر يختص بالصغار. [3]

ولسائل أن يقول: وكيف يتأتى إلقاؤه في مكان مخفي مع قول أحد الإخوة (**يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَارَةِ**) ونقول: إن في مثل هذا القول تنزيلا لدرجة البشر التي كانت متوقدة في اقتراح بعضهم بقتل يوسف، وفي هذا الاقتراح تخفيض لمسألة القتل أو الطرح أرضا، وبعد ذلك عاد القائل لحالته العادية وصحت فيه عاطفة الأخوة قال: (**إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ**) أي انه توقع عدم رفضهم لاقتراحه.

وهكذا يشرح الحق سبحانه كيف تمت هذه المسألة، فلم يقف صاحب هذا الرأي بالعنف ضد اقتراح إخوته بقتل يوسف أو طرحه في الأرض، بل يستدرجهم ليستل منهم ثورة الغضب فلم يقل لهم لا تقتلوه ولكنه قال: (لا تقتلوا يوسف) وفي نطقه للاسم

---

[1]– القرطبي، ص 262.

[2]– الرازي، ص 98.

[3]– القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ط1، بيروت، لبنان، 2006م، 11/ 265.

تحنين لهم ويضيف: ﴿ **وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الجُبِّ يَلتَقطُهُ بَعْضُ السَّيَارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ** ﴾ يوسف 10 وكأنا يأمل في أن يتراجعوا عن مخططهم. [1]

ومن ثم تكون البنية الحجاجية التالي:

لا تقتلوا يوسف: النتيجة.

الواو: الرابط الحجاجي.

ألقوه في غيابت الجب يلتقطه بعض السيارة إن كنتم فاعلين: الحجة.

فهذا الترتيب يسمى بالنظام العكسي التنازلي; أي تقدمت النتيجة وتأخرت الحجة، والرابط الحجاجي هنا هو الواو، وهو رابط حجاجي يلعب دورا في تقديم الحجج، وباستعماله يكون للحجة طابع البرهان وكما يعتبر الرابط الحجاجي هنا " **الواو** " من الروابط المنطقية.

والروابط الحجاجية تطرح قصية الترابط الحجاجي إشكالية أساسية مدارها البحث في " بنيوية الخطاب المثالي "، فهي تقوم على التساؤل عن القواعد والأسس التي تجعل من سلسلة الأقوال متماسكة متراصفة، وعن القيود والشروط اللغوية التي تحكم هذا الترابط، حيث يكتسب الخطاب الحجاجي صفة التراتبية والانْسِيابية ويبتعد عن مطبّات التفكك والتهافت والتناقض. [2]

وإضافة إلى كون الروابط الحجاجية تسهم في ترتيب الحجج والربط بينها وترسيخها في ذهن المتلقي. فهي تسهم أيضا في تماسك الخطاب.

وبما أنّنا بصدد الحديث عن المقاطع الحجاجية في الخطاب القرآني، فمما يؤكد هذه الصورة المنطقية أنها لا تتجلى فقط من حيث علاقة المقاطع فيها بينها، بل إن الصور المنطقية تتجلى حتى على مستوى العلائق التي تتحكم في العبارة القرآنية وهي الروابط التي توظف أصلا للمحاجة، وتلعب دورا كبيرا في إجلاء المعنى، وعبوره إلى ذهن

[1]– الشعراوي، تفسير الشعراوي، ص 6874.

[2]– ينظر شكري المبخوت، نظرية الحجاج في اللغة، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص 371.

المتلقي، فهي أدوات لغوية تلعب دورا أساسيا في عملية الربط بين مختلف عناصر الحجاج كالمقدمات والنتائج.[1]

أجمعوا على التفريق بينه وبين ولده بضرب من الاحتيال، وقالوا ليعقوب: **(يَأَبَانَا مَالَكَ لاَ تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَ إِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ) يوسف 11.**

يدل على أنه كانت هنا لمحاولات سابقة منهم في ذلك، ولم يوافقهم الأب[2] أتو بالاستفهام المستعمل في الإنكار على نسيْ الإنتمان[3] وجملة **(وَإِنَ لَهُ لَحَافِظُونَ)** في موضع الحال مثل: **(وَإِنَ لَهُ لَنَاصِحُونَ)** والتأكيد فيهما للتحقيق تنزيل لأبيهم منزلة الشاكْ في أنهم يحفظونه وينصحونه وتقديم "لَهُ" في له "لَنَاصِحُونَ" و"لَهُ لَحَافِظُونَ" يجوز أن يكون لأجل الرعاية للفاصلة والاهتمام بشأن يوسف عليه السلام في ظاهر الأمر.

أنظر كيف ابتدأ وبالاستفهام عن عدم أمنه إياهم على أخيهم وإظهار أنهم نصحاء له، وحققوا ذلك بالجملة الاسمية وبحرف التوكيد "إن لَهُ لَحَافِظون وإن له لناصحون" ثم ظهروا أنهم محرصوا إلا على فائدة أخيهم وأنهم حافظون لهم وأكدوّا ذلك أيضا [4] وقولهم في قوله تعالى: ﴿ **وَإِنَ لَهُ لَنَاصِحُونَ**﴾ يعني أنهم لسوف ينتبهون له ولن يحدث له ضرر أو شر، وسيعطونه اهتمام فلا داعي أن يخَافَ عليه الأب.[5]

وقيل: لما تفاوضوا وإفترقوا على رأي المتكلم الثاني، عادوا إلى يعقوب عليه السلام وقالوا هذا القول. وفيه دليل على أنهم سألوه قبل ذلك أن يخرج معهم يوسف فأبى، على ما يأتي[6]. وهذا ما جاء في قوله: ﴿ **يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تأمنّا عَلَى يُوسُفَ** ﴾ .

---

[1]– أمنة بلعلى، الإقناع: المنهج الأمثل للتواصل والحوار نماذج من القرآن والحديث، التراث العربي، ع89، 2003/1/1م،ص223.

[2]– الشعراوي، تفسير الشعراوي، ص6875.

[3]– المرجع نفسه، ص229.

[4]– الشعراوي، تفسير الشعراوي، ص6876.

[5]– المرجع نفسه، ص229.

[6]– القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ط1، بيروت، لبنان، 2006م، 272/11.

وأيضا أن هذا الكلام يدل على أن يعقوب عليه السلام كان يخافهم على يوسف ولولا ذلك وإلاّ لما قالوا هذا القول.

كما أنهم أحكموا العزم ذكروا هذا الكلام وأظهروا عند أبيهم في غاية المحبة ليوسف وفي غاية الثقة عليه. وكانت عادتهم أن يغيبوا عنه مدة إلى الرعي فسألوه أن يرسله معهم وهذه كلها تعتبر من باب ووسائل الحجيج الإقناعية.[1]

فالاستفهام كما هو واضح يلعب دورًا كبيرًا في الإقناع وخاصة في العملية الحجاجية نظرا لما يعمله من جلب المتلقي إلى فعل الاستبدال، بحيث أنه يشركه بحكم قوته وخصائصه التي تخدم مقاصد الخطاب، ويلعب دورًا أساسيا في الإقناع بالحجة.[2]

وتمكننا صياغة هذه البنية الحجاجية التي تخضع أيضا إلى الترتيب العكسي، كما يلي:

قالوا يا أبانا ما لك لا تأمنا على يوسف: النتيجة

الواو: الرابط الحجاجي.

إنّا له لناصحون: الحجة.

والآية في قوله تعالى: ﴿ **وَإِنَا لَهُ لَنَاصِحُونَ** ﴾ أي: في حفظه وحيطته حتى نرده إليك. قال مقاتل: في الكلام تقديم وتأخير وذلك أن إخوة يوسف قالوا لأبيهم: ﴿ **أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا**﴾ الآية، فحينئذ قال أبوهم: ﴿**مَالَكَ لاَ تَأْمَنَّا**﴾ الآية ﴿ **أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا**﴾ إلى الصحراء **(يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ)**.

« **غدًا**» ظرف، والأصل عند سيبويه: غَدْوُهُ، وقد نُطق به على الأصل، قال النصر بين شُميل: مابين الفجر وصلاة الصبح يقال له: غُدْوَةٌ، وكذا بُكرة.[3]

---

[1]– الرّازي، تفسير الفخر الرّازي، ط1، دار الفكر، لبنان، 1981م، 99/18.

[2]– أمنة بلعلى، الإقناع: المنهج الأمثل للتواصل والحوار نماذج من القرآن والحديث، التراث العربي، ع89، 2003/1/1م، ص214.

[3]– القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ط1، بيروت، لبنان، 2006م، 272/11.

ويستمر عرض ما جاء على لسان إخوة يوسف في قوله تعالى: ﴿ **أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَ إِنَ لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾. ولأنهم كانوا يخرجون للرعي والعمل، لذلك كان يجب أن يأتوا بعلّة ليأذن لهم أبوهم بخروج يوسف معهم، ويوسف في أوان الطفولة، واللعب بالنسبة له أمر محبَّبْ ومسموح به، لأنه مازال تحت سن التكليف، واللعب هو الشغل المباح لقصد انشراح النفس.

ويفضل الشرع أن يكون اللعب في مجال قد يطلبه الجدّ مستقلا، كأن يتعلم الطفل السباحة، أو المصارعة، أو إصابة الهدف، وهي الرماية وهكذا نفهم معنى اللعب: إنه شغل لا يُلهى عن واجب، أما اللهو فهو شغل يُلهى عن واجب.[1]

وقرأ إبن كثير: بالنون، وبكسر عين نرتع من الإرتعاء، ويلعب بالياء والإرتعاء افتعال من رعيت، يقال: رعت الماشية، لك ترعاه رعيا إذا أكلته. وقوله (نرتع) الإرتعاء للإبل والمواشي، وقد أضافوه إلى أنفسهم، لأن المعنى نرتع إبلنا، ثم نسبوه إلى أنفسهم لأنهم هم السبب في ذلك الرعي، والحاصل أنهم أضافوا الإرتعاء والقيام بحفظ المال إلى أنفسهم لأنهم بالغون كاملون وأضافوا اللعب إلى يوسف لصغره.[2] ومن هنا يمكن لنا صياغة البنية الحجاجية على استنتاج معان تدفعه إلى الإقناع كما يلي:

أرسله معنا غدا يرتع ويلعب: النتيجة.

الواو: الرابط الحجاجي.

إنا له لحافظون: الحجة.

وقيل أيضا أنه رأى في النوم أن الذئب شدّ على يوسف، فكان يحذره فمن هذا ذكر ذلك، وكأنه لقتهم الحجة، وفي أمثالهم البلاء موكل بالمنطق.

فلما ذكر يعقوب عليه السلام هذا الكلام أجابوه بقولهم **(لَئِنْ أكله الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَة إنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ)**.

---

[1]– الشعراوي، تفسير الشعراوي، ص6876.

[2]– الرّازي، تفسير الفخر الرّازي، ط1، دار الفكر، لبنان 1981م، 98/18.

(لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ) فائدة اللام هنا وفيه وجهين: الأول أن كلمة إن تفيد كون الشرط مستلزما للجزاء، أي إن وقعت هذه الواقعة فنحن خاسرون، فهذه اللام دخلت لتأكيد هذا الاستلزام، الثاني قال صاحب الكشاف هذه اللام تدل على إضمارْ القسم وتقديره: والله لَئِنْ أكله الذِئْبُ لكنَّا خاسرين.[1]

فهذا الحب من يعقوب ليوسف هو الذي دفعهم إلى الحقد على يوسف وردّوا فقط على خوفه من أن يأكله الذئب، وجاء القرآن بما قالوه: **(لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَة إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ)**، وهنا يكشف لنا الحق سبحانه محاولاتهم لطمأنة أبيهم، كي يأذن في خروج يوسف معهم، ولهذا استنكروا أن يأكله الذئب وهم مُحيطون به كعصبة، وأعلنوا أنه إنْ حدث ذلك فهم سيخسرون كرامتهم أمام أنفسهم وأمام قومهم، وهم لا يقبلون على أنفسهم هذا الهوان.[2]

وقوله تعالى: ﴿ **وَنَحْنُ عُصْبَةٌ** ﴾ وفائدة الواو هنا أنها واو الحال لَئِنْ حصل ما خافه من خطف الذئب أخاهم من بينهم وحالهم أنهم عشرة رجال بمثلهم تعصب الأمور وتكفي الخطو بأنهم إذًا لقوم خاسرون.[3]

وقوله تعالى: ﴿ **إنّا إذا لخاسرون** ﴾ أي: في حفظنا أغنامنا أي: إذا كنّا لا نقدر على دفع الذئب عن أخينا، ونحن أعجزُ أن نَدْفَعَهُ عن أغنامِنَا وقيل: **(لَخَاسِرُونَ)** لجاهلون بحقه وقيل لحاجزون.[4]

وأيضا في قوله تعالى: ﴿ **إِنَا إِذًا لَخَاسِرُون** ﴾ المراد من قوله: الجوابُ فيه وجوه، الأول خاسرون أي هالكون ضعفا وعجزاً، ونظيره قوله تعالى: ﴿ **لَئِنْ أَطَعْتُمْ بِشَرا مثلَكُمْ إِذًا لَخَاسْرُونَ**﴾ أي لعاجزون. والثاني: أنهم يكونون مستحقين لأن يدعي عليهم بالخسارة

---

[1]– الفخر الرازي، التفسير الكبير، تفسير الفخر الرّازي، ط1، دار الفكر، لبنان، 1981م، ص100.

[2]– الشعراوي، ص6878.

[3]– الفخر الرّازي، تفسير الفخر الرّازي، ص100.

[4]– القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ط1، بيروت، لبنان، 2006م، ص275.

والدمار،وأن يقال خسرهم الله تعالى ودمرهم حين أكل الذئب أخاهم وهم حاضرون.
الثالث: المعنى أنا أن لَمْ نقدر على حفظ أخينَا فقد هلكت مواشينَا.[1]

ويمكن تَبْيِين الحجة الثانية في قوله تعالى: (قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ).

ويَقُصُ الحقُّ سبحانه مَا بَدَرَ مِنْهُمْ فَوْرَ أنْ دخلوا على أبيهم: (قَالوا يَأَبَانَا إِنَا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمن لَنا ولَوْ كُنَّا صَادِقِين) يوسف17.

نجد الإستياق له مجالات متعددة، وكل ذلك حلال ، فهم أسباط وأولاد يعقوب، ولا مانع أن يلعب الإنسان لُعْبة لا تلهيه عن واجبه، وقد تنفعه فيما يَجِدُ من أمور، فإذا التقى بعدو نفعه التدريب على استخدام السهم أو الرمح أو أداة قتال، واللعب والذي لا يَنْهِي عن طاعة، وينفع وقت الجد هو لعب حلال.[2]

وقوله تعالى: (نَسْتَبِقُ) نَفْتَعل، من المسابقة وقيل: أي نَنْتَضِلْ، وكذا في قراءة عبد الله: (وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا) أي عند ثيابنا وأقمشتنا حارسًا لها.[3]

وفي هذا إخلال بشروط التعاقد مع الأب الذي أَذِنَ بخروج يوسف بعد أن قالوا: **(أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ)** يوسف 12

وقالوا: **(وإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ)** يوسف11

وقالوا: **(وإِنَّا لَهُ لَحَافِظُوَن)** يوسف12

فهل أخذتموه معكم ليرتع ويلعب ويأكل من ثمار الأشجار والفاكهة، وتحفظونه، أم ليحفظ لكم متاعكم وأنتم تستبقون.

[1]– محمد الرّازي فخر الدين، تفسير الفخر الرّازي، ط1، دار الفكر، لبنان، 1981م، ص100.
[2]– الشعراوي، ص6885.
[3]– القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ط1، بيروت، لبنان، 2006م، ص281.

وهذا أول الكذب الذي كذبوه ، وهذه أول مخالفة لشرط إذن والده له بالخروج معكم.[1]

وقوله تعالى: ﴿ **وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَو كُنَا صَادِقِينَ** ﴾ ليس المعنى أن يعقوب عليه السلام لا يصدق من يعلم انه صادق، بل المعنى لو كنا عندك من أهل الثقة والصدق لا تهمتنا في يوسف لشدة محبتك إياهن ولظننت أنا قد كذبنا والحاصل أنَّا وإن كنا صادقين لأنه لم تظهر عندك أمارة تدل على صدقنا.

احتج أصحابنا بهذه الآية على أن الإيمان في أصل اللغة عبارة عن التصديق، لأن المراد من قوله : ﴿ **وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا**﴾ أي بمصدق. وإذا ثبت أن الأمر كذلك في أصل اللغة وجب أن يبقى في عرف الشرع كذلك.[2]

إن التدرج في الأغراض يوحي بالمنطقية في التعامل مع النفس البراية من اجل إقناعها، حيث أنه لا يحب إعطاء معلومات دفعة واحدة وهذا ما نلحظه في قوله تعالى: ﴿ **قَالوا يَأَبَانَا إِنَا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنا ولَوْ كُنَّا صَادِقِين** ﴾

فتكون البنية الحجاجية كما يلي: الحجة: قالوا يا أبانا إنا.....

الرابط: الفاء

النتيجة: أكله الذئب.

ولم يصدقهم يعقوب، لما ظهر له منهم من قوة التهمة وكثرة الأدلة على خلاف ما قالوه، على ما يأتي بيانُه. وقيل: **(وَلَوْ كُنَا صَادِقِين)** أي: ولو كنَّا عندك من أهل الثقة والصدق ما صدَّقتنا، ولا تهمتنا في هذه القضية، لشدة محبتك.[3]

---

[1]– الشعراوي، ص6887.

[2]– محمد الرّازي فخر الدين، تفسير الفخر الرّازي، ط1، دار الفكر، لبنان، 1981، ص104.

[3]– القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ط1، بيروت، لبنان، 2006م، ص286.

إن الخطاب أَوْ النص يرتكز على أساسية العلاقات المنطقية وهو ما يؤكد أن للنص منطقه الخاص وبنيته الاستدلالية، ويؤكد هذا أيضا ما نستعمله، في خطاباتنا وحواراتنا، ن عبارات من قيل: **(حسن الاستدلال والبرهان)** ،"متين الحجة"، "ناصع البرهان"، هذا أمر ظاهر البطلان، لا يعقل صحته، ولا يقوم عليه دليل، "هذه أدلة متعارضة وحجج متناقضة"، هذا قول مردود ضعيف السند، وهي لدليل "فلان حاضر الدليل وصحيح الاستدلال"،وغيرها من الأقوال والتعابير التي يشار بها إل البُعد المنطقي الاستدلالي في الخطاب الذي يعد عبارة عن متوالية من الأقوال والجمل، أو "بتعبير حجاجي" مجموعة من الحجج والنتائج التي تقوم بينها أنماط مختلفة من العلائق فالحجة المؤيدة أَوْ المضادة والدليل يفضي إلى النتيجة والنتيجة تفضي إلى دليل أخر.[1]

من خلال هذا العرض الموجز لبعض الظواهر الحجاجية نستنتج أهميتها الكبرى في عملية الإقناع لكونها تقدم الحجج والبراهين وتربطها بالنتيجة، والحجاج المبني على براهين صادقة يؤدّي حتما إلى نتائج صادقة. أما الحجاج المبني على براهين كاذبة فما له الدّحض والنقض فالحجة الصادقة تعبّر عن شخصية صاحبها ذلك أن السامع إذا علم أن الخطاب صادر عن قلب منافق وضمير مخادع لا يلقي له بالاً، بل سيكون ذلك أدعى للنفور مما يريد المتكلم إقناع السامعين به، والانصراف عنه إذا ما يراهُ أفضل، وبذلك فإن الصدق في القول ومطابقة الظاهر للباطن أساس مهمّ من أسس الإقناع. فالحجاج إذن كان في الخطاب القرآني عنصرًا مهمًا في عملية الإقناع وفي إدراك الحق وقبوله، ولقد أعطى القرآن العقل مكانة كبيرة ونوّه به في العديد من الآيات حتى أنه وصف الذين لا يعلمون عقولهم بالأنعام أو ضلّ، ذلك أن الإسلام يريد أن يحصل

[1]– أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، ط1، مؤسسة الرحاب الحديثة، لبنان، 2010،ص18.

الإنسان على القناعة الذاتية المرتكزة على الحجة والبرهان في إيطار الحوار الهادئ العميق في قضايا العقيدة أو غيرها.[1]

وكما يمكننا تلخيص العلاقات الحجاجية في النقاط التالية:

1. إن العلاقة الحجاجية هي علاقة نسبية ترتبط أساسا بالمقام الذي تم التلفظ بها فيه، وقد تكون مندرجة ضمن السياق اللغوي الملفوظ. وترتبط بالمعارف العامة والمسلمات البديهية المتعارف عليها في المجتمع وخاصة منها الأعراف اللغوية.
2. ليس الحجاج قيمة مضافة إلى الملفوضات اللغوية بل هو وظيفة أساسية ملازمة لنشاط التلفظ، والقيمة الحجاجية لملفوظ ما ليست نتيجة المعلومات المتضمنة فيه فقط، بل أنه قد توجد في الجملة مورقيمات أو تعابير أو صيغ تعطي للملفوظ توجّها حجاجيا يقود المخاطب إلى الإتجاه أو ذلك ، بغض النظر عن حمولتها الإخبارية.
3. يسعى المتكلم من خلال العلاقة الحجاجية بين الملفوظات إلى إقناع المخاطب بوجهة نظره وباعتبار الإقناع فعلا ناتجا عن الحجاج فإننا نعد الملفوظات الحجاجية بهذا نوعا من الأفعال الكلامية، وهذا يعني أن الحجاج يتميز بخصائص الفعل الكلامي وهي على التوالي: القصدية والتواضع والعرفية.
4. تتسم العلاقات الحجاجية باعتمادها الأساسي على عنصرين اثنين هما الترابط والتراتب، والمقصود بالترابط وجود روابط حجاجية بين الحجة والنتيجة، وقد تتعدد هذه الروابط حسب المقامات والمقاصد كما تتعدد في اللغة الواحدة حسب الأشكال اللغوية المتاحة فيها ويمكن التمثيل عليها بأدوات الشرط في اللغة العربية إذ تؤدي هذه الأدوات وظيفة الربط بين الملفوظات وتكون في أغلب استعمالاتها حجاجية، أما التراتب فهو خاصية تابعة لخاصية العرفية التي تميز المؤسسة اللغوية إذ تستعمل في الملفوظات الحجاجية بعض

[1]– أمنة بلعلى، الإقناع: المنهج الأمثل للتواصل والحوار نماذج من القرآن والحديث، التراث العربي، ع89، 2003/1/1، ص225.

التعابير والكلمات الدالة على القوة أو الضعف في الحجج والتي يمكننا ترتيب هذه الملفوظات حسبها.[1]

بين يدي السورة: سورة يوسف إحدى السور المكية التي تناولت قصص الأنبياء، وقد أفردت الحديث عن قصة نبي الله "يوسف" " نبي يعقوب " وما لاقاه عليه السلام من أنواع البلاء، ومن ضروب المحن والشدائد، من إخوته ومن الآخرين في بيت عزيز مصر، وفي السجن وفي تأمر النسوة، حتى نجاه الله من ذلك الضيق، والمقصود بها تسلية النبي (ص) بما مرّ عليه من الكرب والشدة، وما لاقاه من أذى القريب والبعيد.

والسرة الكريمة أسلوب فذّ فريد في ألفاظها وتعبيرها وأدائها وفي قصّصها الممتع اللطيف، تسرى في النفس سريان الدم في العروق وتجري برقتها وسلاستها في القلب جريان الروح في الجسد فهي وإن كانت من السور المكية، التي تحمل في الغالب طابع الإنذار والتهديد إلا أنها إختلفت في هذا الميدان.

فجاءت طريّة في أسلوب ولهذا ممتع لطيف، تسلسي رقيق يحمل جو الانس والرحمة والرأفة والحنان قال علماء "لا يسمع سورة يوسف محزونٌ إلا إستراح إليها".

نزلت السورة الكريمة على رسول الله بعد سورة "هود" في تلك الفترة الحرجة العصيبة من حياة الرسول الأعظم حيث توالت الشدائد والنكبات عليه وعلى المؤمنين، وبالأخص بعد أن فقد عليه السلام نصيريه زوجه الطاهر الحنون "خديجة" وعمه "أبا طالب" الذي كان له خير نصير، وخير معين، وبوفاتها إشتد الأذى والبلاء على رسول الله وعلى المؤمنين، حتى عُرف ذلك العام ب "عام الحزن". في تلك الفترة العصيبة من حياة الرسول الكريم، وفي ذلك الوقت الذي كان يعاني فيه الرسول والمؤمنين، الوحشة، والغربة، والانقطاع في جاهلية قريش، كان الله سبحانه ينزل على نبيه الكريم هذه السورة تسلية له، وتخفيفا لآلامه، بذكر قصص المرسلين، وكان الله تعالى يقول لنبه الكريم عليه السلام: لا تحزن يا محمد ولا تتفجع لتكذيب قومك وإيذائهم لك، فإن بعد

[1]– دورية أكاديمية تعني بالدراجات والبحوث العلمية في اللغة والأدب، الخطاب، دار الأمل، تيزي وزو، 2006م.

الشدة فرجًا، وإن بعد الضيق مخرجًا، أنظر إلى أخيك "يوسف" وتَمَعَّنْ ما حدث له من صنوف البلايا والمحن، وألوان الشدائد والنكبات، وما ناله من ظروب المحن: محنة حسد إخوته كيدهم له، ومحنة رميه في الجب، ومحنة تعلق إمرأة العزيز به وعشقها له، ثم مراودته عن نفسه بشَّتى طرق الفتنة والإغراء، ثم محنة السجن بعد ذلك بعد ذلك العزّ ورغد العيش !! أنظر إليه كيف أنه لما صبر على الأذى في سبيل العقيدة، وصبر على الضرّ والبلاء، نقله الله من السجن إلى القص، وجعله عزيزا في ارض مصر، وملكه الله خزائنها فكان السيد المطاع، والعزيز المكرّم.....وهكذا أفعل بأوليائي، ومن صبر على بلائي.[1]

ففي قوله سبحانه: ﴿ **تلك آيات الكتاب المبين** ﴾ يوسف1: نجد أن الكتاب هنا وصف ب (المبين) ووصف به في طالعة سورة يونس بـ (الحكيم) لأنَّ ذكر وصف إبانته هنا أنسب، إذ كانت القصّة التي تضمنها هذه السورة مفصّلة مبيّنة لأهم ما جرى في مدة يوسف عليه السلام بمصر... فالمبين: اسم فاعل من أبان المتعدي، والمراد: الإبانة التامّة باللفظ والمعنى.[2]

وكونه عربيا يفيد إبانة ألفاظه المعاني المقصودة للذين خوطبوا به ابتداء وهم العرب، إذ لم يكونوا يتبينون شيئًا من الأمم التي حولهم لأنَّ كتبهم كانت باللغات غير العربية قال تعالى (إنا أَنْزَلْنَاه قرأنا عربيا لعلكم تعملون) يوسف2. والتأكيد ي (إن) متوجّه إلى خبرها وهو فعل (أنزلناه) ردًّا على الذين أنكروا أن يكون منزلا من عند الله.[3]

وقوله تعالى (نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحيْناه إليك هذا القران وإن كنت من قبله لمن الغافلين) يوسف3. ففي هذه الآية نجد أن الجملة افتتحت "بضمير العظمة للتَّنويه بالخبر، كما يقول كتاب الديوان: أمير المؤمنين يأمر بكذا"، وتقديم

[1]– محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم بيروت، ط4، 1981، 2/40،39

[2]– إبن عاشور تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس (د ط) 1984، 12/200، 201.

[3]– إبن عاشور، تفسير التحرير والتنوير 12/201.

الضمير على الخبر الفعليّ يفيد الاختصاص، أي نحن نقص لا غيرنا، ردًّا على من يطعن من المشركين في القرآن بقولهم: إنما يعلمه بشر وقولهم أساطير الأولين أكتبتها[1]، ومعنى (نَقُصُ) نخبر الأخبار السّالفة وهو منقول من قَصَّ الأثر إذا تتبَّع مواقع الأقدام ليتعرَّف منتهى سير صاحبها ومصدره: القصّ بالإدغام والقصص بالفك.قال تعالى: (فارْتَدَّا عَلَى أَثَارِهِمَا قَصَصًا) وذلك أنَّ حكاية أخبار الماضين تشبه إتّباع خطاهم، ألا ترى أنهم سمّوا الأعمال سيرة فلان، أي فعل مثل فعله.[2]

وجعل هذا القَصَص أحسن القصص لأنّ بعض القصص لا يخلو عن حسن ترتاح له النفوس، وقصص القرآن أحسن من قصص غيره من جهة حسن نظمه وإعجاز أسلوبه وبما يتضمنه من العبر والحكم، فكلّ قصص في القرآن، هو أحسن القصص في بابه، وكل قصة في القرآن هي أحسن من كلّ ما يقصّه القاصّ في غير القرآن. وليس المراد أحسن قصص القرآن حتى تكون قصّة يوسف – عليه السلام – أحسن من بقيّة قصص القرآن.[3]

ووجه أحسنيتها اشتمالها على حاسد ومحسود، ومالك ومملوك، وشاهد ومشهود، وعاشق ومعشوق، وحبس وإطلاق وخصب وجدب، وذنب وعفو، وفراق ووصال، وسقم وصحة، وحل وارتحال، وذل وعز.[4]

وقال تعالى: (إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِي رأيت أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبا وَالشَمْسَ وَالقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ) يوسف4. فالنداء في الآية مع كون المنادي حاضر مقصود به الاهتمام بالخبر الذي سيلقى إلى المخاطب فينزل المخاطب منزلة الغائب المطلوب حضوره وهو كناية عن الاهتمام.

---

[1]– المرجع نفسه، 202/12.

[2]– المرجع نفسه 203/12.

[3]– إبن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 204/203/12.

[4]– الألوسي، روح المعاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط4، 176/1985،12.

وجملة (رأيتهم) مؤكدة لجملة (**رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا**)[1] وقيل أن الكلام جواب سؤال مقدر كأن يعقوب – عليه السلام – قال له عند قوله (**إِنِي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبا وَالشَمْسَ وَالقَمَرَ**) كيف رأيتها؟ سائلا عن حال رؤيتها فقال: (**رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ**).[2]

وتقديم الجار والمجرور على عامله في قوله: (**لِي سَاجِدِينَ**) "لإظهار العناية والاهتمام مع ما في ضمنه على ما قيل: من رعاية الفواصل"[3] وابتداء قصة يوسف عليه السلام. بذكر رؤياه إشارة إلى أن الله هيّأ نفسه للنبوءة فابتدأه بالرؤيا الصادقة كما جاء في حديث عائشة "أن أوّل ما إبتدىء رسول الله من الوحي الرؤيا الصادقة فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح".[4]

وقوله تعالى: ﴿ **قَلَ يَا بُنيّ لاَ تَقْصُصْ رُؤيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَ الشَيْطَانَ للإنْسَان عَدُوٌ مُبِينْ**﴾ يوسف5. فالنداء مع حضور المخاطب مستعمل في طالب إحضار الذهن إهتمامًا بالغرض المخاطب فيه.

و(بُنَيّ) بكسر الياء المشدَّدة تصغيرًا مع إضافة إلى ياء المتكلم. وهذا التصغير كناية عن تحبيب وشفقة، نزل الكبير منزلة الصغير لأنَّ شأن الصغير أن يحب ويشفق عليه، وفي ذلك كناية عن إمحاض النصح له[5] ويسمى النحاة مثل هذا تصغير التحبيب[6] وقصد يعقوب – عليه السلام – من ذلك نجاة أبنه من أضرار تلحقه، وليس قصده إبطال ما دلّت عليه الرؤيا.[7]

وقوله تعالى: ﴿ **إذ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُ إِلَى أَبِينَا مِنَا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ** ﴾"إن أبانا لفي ضلال مبين يوسف8.

---

[1]– إبن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 207/12.

[2]– الألوسي ، روح المعاني، 179/12.

[3]– المرجع نفسه،180/12.

[4]– إبن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 208/12.

[5]– إبن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 213.212/12.

[6]– الألوسي، روح المعاني، 180/12.

[7]– إبن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، 213/12.

فافتتاح المقول بلام الابتداء المفيدة للتوكيد لقصد تحقيق الخبر1 وجملة (وَنَحْنُ عُصْبَةٌ) أي أنّا لا يعجزنا الكيد ليوسف– عليه السلام– ، وأخيه فإنا عصبة والعصبة يهون عليهم العمل العظيم الذي لا يستطيعه العدد القليل 2 كقوله (قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَة إِنَا إِذَنْ لَخَاسِرُونَ) يوسف14.

[1]– المرجع نفسه، 220/12.

[2]– المرجع نفسه، 221/12.

مفهوم الفعل الكلامي:

يعرف الفعل الكلامي بأنه " كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي، إنجازي، تأثيري، وفضلا عن ذلك، يعد نشاطا ماديا نحويًا يتوسل أفعال قوليّة...لتحقيق أغراض إنجازية، (كالطلب والأمر والوعد والوعيد...إلخ)، وغايات تأثيرية تخصّ ردود فعل المتلقي (كالرفض والقبول). ومن ثم فهو فعل يطمح إلى أن يكون ذا تأثير في المخاطب، اجتماعيا أو مؤسساتيا، ومن ثم إنجاز شيء ما.[1]

وتذهب نظرية أفعال الكلام ضمن تصوراتها إلى القول بأن الجمل اللغوية لا تنقل مضامين مجردة ونمطية، بل تختلف بحسب عوامل عدة منها الذات والسياق، بالإضافة إلى مقتضيات أخرى تساهم في تحديد دلالة اللفظ وقوته، وبموجب هذا تحول الاهتمام من الجملة في ذاتها (نمط) إلى البحث في مختلف تمظهراتها (موقع)، وبنفس الخلفية انتقلنا من الحديث عن الإحالة اللسانية إلى إحالة المتكلم.[2]

وقد تميز الخطاب القرآني بلغته التأثيرية ومقاصده الضمنية التي لا تُفهم إلاّ من خلال السياق، وهذا ما تدرسه نظرية أفعال الكلام وترمي إليه.[3]

ولهذا ارتأينا وأردنا أن نبين مدى تجلي أفعال الكلام وبَلاَغَتِهِ في سورة من سوره وهي سورة (يوسف عليه السلام).

كما نريد أن نوضح أولا بلاغة الفعل الكلامي في استعماله لفظة دون أخرى ولهذا اخترنا بعض النماذج نذكر منها كالتالي:

في قوله تعالى: ﴿**وَغَلَّقَتْ الأَبْوَابْ**﴾ يوسف23 هو السبب أن ذلك العمل لا يؤتي به إلاّ في المواضع المستورة لاسيما إذا كان حراما، ومع قيام الخوف الشديد، قال

[1]– مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص40.

[2]– حسان الباهي، الحوار ومنهجية التفكير النقدي، أفريقيا الشرق، المغرب، 2004م، ص123.

[3]– حانو نور الهدى، مذكرة: أفعال الكلام في سورة يوسف دراسة تداولية، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، 2018م، ص36.

الواحدي: وأصل هذا من قولهم في كل شيء فلزمه قد غلق الباب إذا جعله بحيث يعسر فتحه، قال المفسرون: وإنما جاء غلقت على التكثير لأنها غلقت سبعة أبواب.[1]

وأغلق يقع للكثير والقليل.[2]

وهذا ما جاء به الحق سبحانه بكلمة "غلّقت" الأنسب والأبْلَغْ في إيصال المعنى.

وأيضا نزل في قوله تعالى: ﴿ **وَقَالَ نِسْوَةٌ** ﴾يوسف30، ولم يقل **(وقالت نسوة)** قلنا لوجهين: الأول: أن النسوة اسم مفرد لجمع المرأة وتأنيثه غير حقيقي فلذلك لم يلحق فعله تاء التأنيث، والثاني: قال الواحدي تقديم الفعل يدعو إلى إسقاط علامة التأنيث على قياس إسقاط علامة التثنية والجمع.[3]

وقَد جاء أيضا من كلامه البليغ والفصيح سبحانه وتعالى في قوله: ﴿ **وَمَاكُنَّا سَارِقِينَ**﴾ يوسف73، بجميع أنواع المعاصي فإن السرقة من أكبر أنواع الفساد في الأرض، وإنما اقسموا على علمهم أنهم ليسوا مفسدين ولا سارقين، لأنهم عرفوا أنهم صبروا من أحوالهم ما يدلهم على عِفتهم وروعهم، وأن هذا الأمر لا يقع منهم بعلم من اتهموهم، وهذا أبلغ من نفي التهمة، من أن لو قالوا: "**تالله لم نفسد في الأرض ولم نسرق**" فإذا ارْتَكبوا جريمة السرقة في حياتهم لجاء قوله: " **وما نحن سارقين** " كما نلاحظ وجود سياق تواصلي وقصد من المتكلم إلى الحجاج، ويمكن إدراج الأسلوب ضمن الأفعال الكلامية التقريرية التي يكون الفعل الناتج من القول فيها هو الاقتناع و التسليم.[4]

أي أنه يمكن لنا إدراج هذا الفعل الكلامي إلى الحجج الاقناعية لأنهم لم يرتكبوا جرم السرقة من قبل ولا في الوقت الحالي، ومن ثم فان موضوع الإقناع وان كان هو فعل

---

[1]– محمد الرّازي فخر الدين، تفسير الفخر الرّازي (الْمشْتَهِرْ بالتفسير الكبير ومفاتح الغيب)، ط1، دار الفكر، لبنان، بيروت، 1981م،115/18.

[2]– القرطبي، الجامع لأحكام القران، ط1، بيروت، لبنان، 2006م، 305/11.

[3]– محمد الرّازي فخر الدين، تغير الفخر الرّازي، ط1، دار الفكر، لبنان، بيروت،1983م،115/18.

[4]– نخبة من علماء التفسير و علوم القرآن التفسير الموضوعي (لصور القرآن الكريم)، ط1، كلية الدراسات العليا و البحث العلمي، جامعة الشارقة، 2010م، المجلد3 ص545.

الصورة الحجاجة، فان الخطاب القرآني حقق هذا الفعل بواسطة قوى أفعال الكلام المنجزة من خلال العبارات وما تحققه بدورها من آثار ونتائج مهما كانت صفتها فان إيقاعها يبقى إقناع الأخر، ليس من باب أحداث الغلبة لطرف على حساب الأخر لكن من أجل الحوار و التواصل.[1]

ومن الأفعال الكلامية التي وردت في سورة يوسف أيضا يمكن أن نختار منها نماذج و التي وردت بكثرة وهي الأفعال التوجيهية المباشرة و ظهرت بقوى انجازية مختلفة تراوحت بين: (الأمر، النهي، الرجاء).

أ. الأمر:

وقد كان أكثر القوى الإنجازية ورودا في الأفعال التوجيهية بنوعيها (المباشرة وغير المباشرة) ونذكر من الأفعال المباشرة أولا مما جاء فيها كالتالي: ويعرّف الأمر على أنه " طلب حصول الفعل على جهة الاستعلاء".[2]

ومن أمثلة قوله تعالى: " وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه" يوسف 12

وجاء الأمر أيضا في قول الله عزى وجل على لسان يوسف عليه السلام للفتى الناجي" **أذكرني عند ربك**" يوسف 42

ب. النهي:

يعرف النهي بأنه: "طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء وله صيغة واحدة وهي المضارع مع ياء الناهية"[3] وقد ورد في قوله تعالى على لسان أخ يوسف لإخوته:"**لاَ تَقْتُلُوا يُوسُفَ**" يوسف10 أي أنه نهى أخ يوسف على قتل يوسف عليه السلام.

ج. الرجاء:

---

[1]- آمنة بلعلى، الإقناع : المنهج الأمثل للتواصل و الحوار نماذج من القرآن و الحديث، التراث العربي، ع89، 2003/1/1م، ص206.

[2]- أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة (البيان، المعاني، البديع)، دار الكتب العلمية، ط3، بيروت، لبنان، 1993م، ص75.

[3]- أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة تح : أحمد جاد، دار الغد الجديد، ط1، القاهرة، 2014م، ص73.

وقد ورد في السورة في موضع واحد في قوله تعالى على لسان عزيز مصر: "**عسى أن ينفعنا** " يوسف 21.

ويمكن حصر وتلخيص ما جاء من أفعال توجيهية مباشرة في السورة في الجدول التالي:

الفعل الكلامي	القوة الإنجازية	الأثر المترتب
(أكرمي مثواه) الآية 12	أمر (أكرمي)	طلب عرض طلب عزيز مصر من امرأته أن تكرم يوسف عليه السلام وتحسن معاملته.
(اذكرني عند ربك) الآية 42	أمر (اذكرني)	طلب (عرض) طلب يوسف عليه السلام من الفتى الناجي أن يذكر قصته للملك علّه يتدخل في شأنه ويخرجه من السجن لأنه مضلوم.
(لا تقتلوا يوسف) الأية10	نهي (لا تقتلوا)	الإنهاء عن القتل واختيار الخيار الثاني وهو إلقاء يوسف عليه السلام في الجب.
(عسى أن ينفعنا)	ترجي (عسى)	رجاء عزيز مصر بان

الأية21		ينتفع من يوسف عليه السلام و الإستفادة منه.

ومن الأفعال التوجيهية غير المباشرة وقد جاءت مختلفة في القوة الإنجازية فمنها ما جاء للاستفهام، وبعضها للأمر وأخرى للنهي وكذا النداء.

أ. **الاستفهام:** ويعرّف بأنه:"طلب فهم شيء لم يتقدم لك علم به، بأداة من أدواته وهي: هل من متى وأيّان وأين وأنّى وكيف وأيّ".[1]وقد ورد الاستفهام في سورة يوسف عليه السلام، في موضعين وبأسلوب غير مباشر، حيث طُرحت الإستفهامات لا لانتظار الجواب، وإنمّا لأغراض أخرى، وأول موضوع هو سؤال يوسف عليه السلام للفتيين اللذين دخلا معه السجن في قوله تعالى على لسانه عليه السلام: ﴿**يَصاحبي السِجْن ءَ أَرْبَابٌ مُتَفَرِقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللّه الوَاحِدُ القَهَار**﴾ يوسف39، وكان الأثر المترتب من هذه القوة الإنجازية هو النصح والدعوة إلى عبادة الله الواحد وترك عبادة الأوثان.

أما الموضع الثاني فكان على لسان يعقوب عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ **هَلْ ءامَنُكُمْء عَلَيْهِ إلاّ كَمَا أَمِنتُكُم عَلَى أَخِيه مِنْ قَبْلُ** ﴾ يوسف64

وقد ترتب عن هذه القوة الإنجازية أثر مترتب تمثل في لوم وعتاب يعقوب عليه السلام لأبنائه، وتذكيرهم بما فعلوه مع أخيه (يوسف عليه السلام) من قبل. [2]

ب. **الأمر:** وقد ورد بأسلوب غير مباشر في مواضع عدة في سورة يوسف نذكر منها قوله تعالى على لسان يوسف عليه السلام: **(تَوفّني مُسْلِمًا وألحقني بالصالحين)** يوسف101، وكان المراد منه الدعاء.

[1]– أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة (البيان، المعاني، البديع)، دار الكتب العلمية، ط3، بيروت، لبنان، 1993م، ص63.

[2]– حانو نور الهدى، مذكرة: أفعال الكلام في سورة يوسف دراسة تداولية، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، 2018، ص42.

ج. النهي: لقد ورد النهي بأسلوب غير مباشر في قوله تعالى على لسان يعقوب عليه السلام لأبنائه:(لاَ تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ) يوسف87، وقد كان الأثر المترتب هو نصح يعقوب عليه السلام أبناءه بالتفرّق والدعوة إلى الحذر والحرص عند دخولهم لمصر.[1]

ويمكن تلخيص الأفعال التوجيهية غير المباشرة الواردة في سورة يوسف في الجدول التالي[2]:

الفعل الكلامي	القوة الإنجازية	الأثر المترتب
(يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير) الآية 39	نداء (يا صاحبي) إست فهام(أأرباب) والمراد هو النصح والإرشاد.	النصح بعبادة الله الأحد وترك عبادة الأوثان.
(تَوَفَني مُسْلِمًا وألحقني بالصالحين)الأية101	أمر(توفني، ألحقني) والمراد به الدعاء	دعاء يوسف عليه السلام وطلبه من الله عز وجل أن يرزقه الخاتمة الحسنة ةأن يكون مع الصالحين الأخيار.
(لاَ تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا من أَبْوَابٍ مُتَفَرِقَةٍ) الأية87	نهي (لا تدخلوا) أمر(ادخلوا) والمراد هو النصح والدعوة إلى الحذر	نصح يعقوب عليه السلام لأبنائه ودعوتهم إلى التفرق عند الدخول إلى مصر، كي

[1]- المرجع نفسه، ص43.

[2]- المرجع السابق، ص45.

	والحِرْص.	لا يتعرف عليهم فتية العزي.

ومن هذه النماذج المختارة نلاحظ أن: استجابة المدونة (سورة يوسف) لمقتضى الدراسة التداولية من جهة (أفعال الكلام) التي هي من أهم فروع التداولية ويعود ذلك إلى تنوع الأساليب في السورة وتعدد صيغها وأغراضها وكما تنوعت الأفعال الكلامية فيها.[1]

[1]- المرجع نفسه، ص69.

الخاتمة

بعد مطافنا في البحث يمكننا أن نلخص بعض النتائج منها:

– إن الجمع بين الدراسة اللسانية التداولية المعاصرة والقرآن الكريم هو الوقوف على تقنيات ومقاصد الشرع الحكيم وتوظيفه للحجاج والأفعال الكلامية إذ رأينا بأن المحاجة القرآنية الأكثر إقناعا والتَّغلغُل داخل العقول البشرية.

– الخطاب القرآني خطاب حجاجي لكونه جاء ردًا على خطابات تعتمد عقائد ومناهج فاسدة.

– السردية في قصة يوسف قد جسدت التقنية القرآنية القائمة على القصص من خلال استثمار فاعلية الحوار.

– إن الحجاج فعل لغوي، يتحقق بين ذوات فعالة ونشيطة، يسعى المرسل من خلاله حمل المتلقي وإقناعه بشتى الآليات المختلفة حسب المقام.

– يختلف الحجاج باختلاف الطبقات المقامية التي يتنزل فيها، ويفرض على المحاجج اختيار الحجاجية بتركيبها ومعانيها المختلف.

– تتشكل العلاقات الحجاجية في قصة يوسف عليه السلام على حجج متعددة ومتنوعة والأكثر من ذلك أنها تسعى إلى إقناع المتلقي الكوني عبر الحقب الزمانية المختلفة، خاصة عندما تخاطب الحس والعقل.

– يمتاز الخطاب الحجاجي في قصة يوسف عليه السلام، بالتماسك والانسجام والتوافق، وذلك على مستوى اللفظ والتركيب والصورة والإيقاع، وهو ما يُحيلنا على الجانب الجمالي الذي يسعى إلى الإثارة لتحقيق الإقناع.

– إن الفعل الكلامي هو نتاج لتحليل صيغ الكلام وأساليبه، وإنشاء الإثارة لتحقيق الإقناع.

– إستجابة المدونة (سورة يوسف) لمقتضى الدراسة التداولية من جهة (أفعال الكلام) التي هي من أهم فروع التداولية.

– وردت آيات سورة يوسف عليه السلام بأساليب متنوعة، فمنها ما يفهم مباشرة ومنها ما نفهم من ورائه بمعاني ضمنية مختلفة وهذا ما يُعرف بالأفعال المباشرة والأفعال غير المباشرة.

– إن تحقق الأثر للفعل الكلامي راجع إلى تَوَفُّر شروط الملائمة، وأغلب الأفعال الكلامية كان الشرط المتوفر فيها هو شرط الإخلاص.

– وصفوة القول: إن الخطاب القرآني الحجاجي والفعل الكلامي على وجه العموم كلها أراد الله تبارك وتعالى من خلالها إرشاد النفوس، وهدى القلوب وحملها على حقائق الإيمان والتوحيد، وإقناع المتلقي بها، ودفعه إلى الانفتاح على تأويل الخطاب القرآني بما يحقق له مقصديته، باعتباره أن المتلقي متلقي كوني يتجدد فكره بتجدد الزمان والمكان والعُرف.

قائمة المصادر والمراجع

أولا- المصادر والمراجع:

1- أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، تح: أحمد جاد، دار الغد الجديد، ط1، القاهرة، 2014م.

2- أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة (البيان والمعاني والبديع)، دار الكتب العالمية، ط3، بيروت، لبنان، 1993م.

3- الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998، ج1.

4- الألوسي، روح المعاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط4، 12،1985/176.

5- أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، ط1، مؤسسة الرحاب الحديثة، لبنان، 2010.

6- بكري شيخ أمين، التعبير في القرآن، دار الشروق، بيروت، ط3.

7- جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1984.

8- الجرجاني (الشريف علي بن محمد)التعريفات، دار اللسان العربي، بيروت، لبنان، 1992م.

9- جول سيرل، العقل واللغة في المجتمع، الدار العربية للعلوم، ط1، لبنان، 2006م.

10- الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية لطلبة معاهد اللغة العربية وآدابها، تر: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د، ط)، (د، ت).

11- حافظ إسماعيلي علوي، التداوليات علم استعمال اللغة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2010.

12- الحبيب، أعراب الحجاج والاستدلال الحجاجي عناصر استقصاء نظري ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2010م.

13- حسان الباهي، الحوار ومنهجية التفكير النقدي، إفريقيا الشرق، المغرب، 2004م.

14- أبو الحسين أحمد بن فارس زكريا، مقاييس اللغة، تحقيق وضبط، عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، 1991.

15- خالد أحمد أبو جندي، الجانب الفني في القصة القرآنية- منهجها وأسس بنائها- (نظرية بناء القصة الفنية في القرآن الكريم).

16- زاوي أحمد، بنية اللغة الحوارية في روايات محمد مفلاح، كلية الآداب واللغات والفنون، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة وهران، الجزائر، 2014.

17- سليمان عشراتي، الخطاب القرآني مقاربة توصيفية لجمالية السرد الاعجازي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د ط)، 1998.

18- الشعرواوي، تفسير الشعراوي، أخبار اليوم قطاع الثقافة والكتب والمكتبات.

19- شكري المبخوت، نظرية الحجاج في اللغة، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم.

20- صلاح الدين عبد التواب، الصورة الأدبية في القرآن الكريم، الشركة المصرية العالمية للنشر، مصر، ط1، 1995.

21- طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1998م.

22- طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 2000م.

23- إبن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس (د ط) 1984.

24- عبد القادر المهيري، مقدمة كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس، (د، ط)، (د، ت).

25- عبد الكريم الخطيب، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم ويوسف.

26- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال خصائصه الأسلوبين، دار الفرابي، ط2، 2007م.

26- أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ط1، بيروت، لبنان، 2006م.

27- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، ط1، 2004م.

28- العرابي لخضر، مفهوم القصة القرآنية وأغراضها عند السابقين والمعاصرين، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران.

29- عمر أوكان، اللغة والخطاب، إفريقيا الشرق، المغرب، 2001م.

30- فرونسواز أرمينيكو، المقاربة التداولية، تر: د سعيد علوش، مركز الانتماء القومي، بيروت، لبنان،

31- أبو الفضل جمال الدين بن محمد بن مكرم (ابن منظور)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، مج5، ط1، 1863م.

32- أبو الفضل جمال الدين بن محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، المجلد2، ط3، بيروت، لبنان، 1994.

33- فضل حسن عباس، القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته، شركة الشهاب للنشر، الجزائر، (د، ط)، (د، ت).

34- فليب بلانشية، التداولية من أوستين إلى غوفمان، دار الحوار للنشر، اللاذقية، سوريا، ط1، 2007م.

35- الفيروز آبادي مجد الدين بن يعقوب، القاموس المحط، ج2، ط1، 1999.

36- قيس عمر محمد، البنية الحوارية في النص المسرحي (ناهض الرمضاني نموذجا)، دار غيداء، عمان،

37- كنزة عزيزي، بنية الحوار في رواية " كبرياء وهوى "، كلية الآداب واللغات، جامعة أم البواقي، 2015.

38- ليلى محمد ناظم الحيالي، جمهرة النثر النسوي في العصر الإسلامي والأموي، مكتبة لبنان، ط1، بيروت، لبنان، 2009.

39- محمد أحمد خلف الله، الفن القصصي في القرآن الكريم، مكتبة الأنجلو المصرية،ط3، 1965.

40- محمد التُومي، الجدل في القرآن الكريم، شركة الشهاب، الجزائر، 1997م.

41- محمد الدالي، الوحدة الفنية في القصة القرآنية.

42- محمد الرّازي فخر الدين، تفسير الفخر الرّازي، ط1، دار الفكر، لبنان، 1981، ج18.

43- محمد حسين فضل الله، الحوار في القرآن قواعده أساليبه معطياته، دار المنصوري للنشر، قسنطينة، (د، ط)، (د، ت).

44- محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم بيروت، ط4، 1981.

45- محمود تيمور، القصة في الأدب العربي وبحوث أخرى، منشورات المكتبة العصرية، صيدا وبيروت، (د، ط)، (د، ت).

46- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2005م.

47- نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن (التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم)، ط1، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، المجلد3، 2010م.

(د، ط)، (د، ت).

ثانيا- المجلات والدوريات:

1- آمنة بلعلى، الإقناع: المنهج الأمثل للتواصل والحوار نماذج من القرآن الحديث، التراث العربي، ع89، 2003/1/1.

2- الحواس مسعودي، البنية الحجاجية في القرآن الكريم سورة النمل أنموذجا، مجلة اللغة والآداب، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، ع12.

3- حامد ناصر الظالمي وعايدة جدوع حنون، نشأة الحجاج. مجلة آداب البصرة، كلية التربية للعلوم الإسلامية، ع73، 2015م.

4- دورية أكاديمية تعنى بالدراسات والبحوث العلمية في اللغة والأدب ، الخطاب، دار الأمل، تيزي وزو، 2006م.

5- هادي سعدون مني العارضي، وسائل الحجاج في خطاب علي أبي طالب، مجلة مركز دراسات الكوفة، جامعة الكوفة، مج1، ع33، 2014م.

ثالثا- الرسائل الجامعية:

1- نور الهدى حانو، أفعال الكلام في سورة يوسف دراسة تداولية، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، 2018م.

2- نورة بن حمزة، الحوار القصصي في القرآن الكريم دراسة في التواصل والإبلاغ سورة الكهف أنموذجا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2007.

3- يوسف عمر لعساكر، الجدل في القرآن خصائصه ودلالاته، جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر، كلية الآداب واللغات، 2004م.

فهرس الموضوعات

العنـــــوان	الصفحـــة
الإهـــــداء	–
شكر و عرفان	–
مقدمـــــــة	أ – ب
مدخل: تحديد المفاهيم (الخطاب، القصة، الحوار)	
1– الخطاب	7
أ– تعريف الخطاب	7
– لغة	7
– اصطلاحا	7
ب– الخطاب القرآني	8
2– القصة	13
أ– تعريف القصة	13
– لغة	13
– اصطلاحا	13
ب– القصة في القرآن الكريم	15
3– الحوار	21
أ– تعريف الحوار	21
– لغة	21
– اصطلاحا	22
ب– الحوار في القرآن الكريم	23
ج– مفهوم البنية الحوارية	25
الفصل الأول: قصة يوسف عليه السلام دراسة تداولية	
1– مفهوم التداولية	32
2– الحجاج نماذج حجاجية من قصة يوسف عليه السلام	32
3– الأفعال الكلامية في قصة يوسف عليه السلام	64
خاتمـــة	72–70
قائمة المصادر و المراجع	78 –73

ملخص

تتناول هذه الدراسة البعد التداولي في القران الكريم، وهو ظاهرة العلاقات الحجاجية وظاهرة الأفعال الكلامية في سورة يوسف عليه السلام، وقد قامت الدراسة على استخراج بعض الحجج وبعض الأفعال الكلامية.

وحتى تصل الدراسة إلى ما ترمي إليه قسمنا هذا العمل إلى مدخل والذي تناولنا فه تحديد بعض المفاهيم من خطاب وقصة وجوار والتي تُبْنى على العلاقات التواصلية وكيفية إيصال المقاصد والمعاني.

وأما الفصل الأول تطبيقي يتضمن أولا تحديد مفهوم التداولية في الفكر الغربي والفكر العربي، واستخراج بعض الحجج الإقناعية وبعض بعض الأفعال الكلامية من سورة يوسف عليه السلام وتبين ما مدى قوة الإقناع في الحجج القرآنية وما مدى القوة الإنجازية وما مدى تحقق الأثر فيها.

Summary

This study deals with the pragmatic dimension in the Holy Qur'an, which is the phenomenon of argumentative relations and the phenomenon of verbal acts in Surat Yusuf, peace be upon him. The study was based on extracting some arguments and some verbal acts.

In order for the study to reach what the aim of our section of this work is to enter into an introduction, in which we dealt with defining some concepts of discourse, story, and neighborhood, which are built on communicative relations and how to communicate purposes and meanings.

As for the first applied chapter, it includes first defining the concept of pragmatics in Western and Arab thought, extracting some persuasive arguments and some verbal verbs from Surat Yusuf, peace be upon him, and showing the extent of persuasion power in the Qur'anic arguments, the extent of achievement power, and the extent to which the effect is achieved.